

المسحاة

مجلة

المجلد التاسع عشر
الجزء الخامس



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٤ — ع المغرب (٢ خ) ١٢٩٥ هـ ش ٢٧ أكتوبر ١٩١٦

فوائد شتى*)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالحديث الصحيح

قال السندي في حواشيه على فتح القدير من كتب الحنفية: الحديث حمزة في نفسه، واحتمال النسخ لا يضر فإن من سمع الحديث الصحيح فعمل به وهو منسوخ فهو معذور إلى أن يبلغه الناسخ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح: لا يعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وفلان، قائما يقال له: انظر هل هو منسوخ أم لا. أما إذا كان الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر، فإن تطرق الاحتمال إلى خطأ المفتي أقوى من تطرق الاحتمال إلى نسخ ما سمعه من الحديث. قال ابن عبد البر: يجب على كل من بلغه شيء أن يستعمله على عمومته حتى يثبت عنده ما يخصه أو ينسخه، وأيضا فإن المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثا، وإذا كان العامي يسوغ له الأخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطأ المفتي كيف لا يسوغ له الأخذ بالحديث إذا فهم معناه وإن احتمل النسخ، ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من أبطل الباطل، وقد أقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الأمة ولا يعرض احتمال الخطأ لمن عمل بالحديث وأقوى به بعد فهمه إلا وأضعاف أضعافه حاصل لمن أقوى بتقليد من لا يعلم خطؤه من صوابه ويجري عليه التناقض والاختلال ويقول القول ويرجع عنه ويحكي عنه في المسألة عدة أقوال

وهذا كله فيمن له نوع أهلية أما إذا لم يكن له أهلية ففرضه ما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وإذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه له المفتي من كلامه أو كلام شيخه وإن علا فلأن يجوز اعتماد الرجل على ما يكتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالجواز ولو قدر أنه لم يفهم

(*) من جمع الشيخ أحمد شاكر بن الشيخ محمد شاكر والحواشي والعناوين من وضع صالح رضا

[المنار: ج ٥ م ١٩] الفقه والاجتهاد. السؤال عما لم يقع. حديث ان الله الخ ٢٤٧

الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث . انتهى
كلام السندي ملخصا وقد أطال من هذا النفس العالي رحمه الله تعالى ورضي عنه
الفقه في الدين والاجتهاد

قال الامام تقي الدين ابن دقيق العيد من أئمة الشافعية في خطبة [شرح
الامام] كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته : ان الفقه في الدين منزلة لا يخفى
شرفها وعلاها ، ولا تحتجب عن العقول طوايعها وأضواها ، وأرفعها بعد فهم كتاب
الله المنزل ، البحث عن معاني حديث نبيه المرسل ، اذ بذلك تثبت القواعد ويستقر
الاساس ، وعنه يقوم الاجماع وبصدر القياس ، لكن شرط ذلك عندنا أن يحفظ
هذا النظام ، ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام ، وترد المذاهب اليه ،
وترد الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه ، واما ان يجعل الفرع أصلا ويرد النص
اليه بالتكلف والتحيل ، ويُجمل على أبعد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ،
ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والذلول ، ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه
النفوس وتستنكره العقول ، فذلك عندنا من أردأ مذاهب وأوسوأ طريقة ، ولا نعتد
أنه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة ، وكيف يقع أمر مع رجحان منافيه ؟
وأني يصح الوزن بميزان مال أحد الجانبين فيه ؟ ومتى ينصف حاكم ملكته غضبة
الخصمية ، وأين يقع الحق من خاطر أخذته العزة بالحمية الخ (الفتوى في الاسلام
صفحة ٤٤)

السؤال عما لم يقع

قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يعض
به كتاب ولا سنة ، وكرهوا للمسؤول الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما
أببح للضرورة ، ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يغنيهم
ما مضى من الاجتهاد ، واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « من
حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » انتهى (الفتوى في الاسلام صحيفة ٤٥)

معنى حديث ان الله خلق آدم على صورته

سئل أحمد بن عطاء أبو عبد الله الروزبادي المتوفي سنة ٣٦٩ قال الحافظ ابن

٢٣٨ نشوء علم الفلسفة . كتاب المذهب [المنار : ج ٥ م ١٩]

عساكر وفي مروياته أحاديث وهم فيها وغلط غلطا فاحشا عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » فقال : ان الله جل ثناؤه خلق انطلق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال الى حال كما قال (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين — الى قوله — فبارك الله أحسن الخالقين) وخلق آدم ليس على هذه الاحوال وانما خلق صورته كما هي ثم نفخ فيه من روحه فلاجله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اهـ (مختصر تاريخ ابن عساكر جزء ١ صحيفة ٣٩٤)

نشوء علم الفلسفة

قال الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ في آخر الكلام على الطبقة السادسة من طبقاتهم : وكان في زمان هؤلاء خلائق من أئمة الحديث ومن أئمة المقرئين كورش واليزيدي والكسائي واسماعيل بن عبيد الله المسكي القسطنطيني ، وخلق من الفقهاء كفقهاء العراق محمد بن الحسن وفضيلة مصر عبد الرحمن بن القاسم ، وخلق من مشايخ القوم كشتيق البلخي وصالح المري الواعظ والفضيل والدولة لهرون الرشيد والبرامكة ثم بعدهم اضطربت الامور وضعف أمر الدولة بخلافة الامين رحمه الله فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الاوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية ، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القبول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ؛ ان من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، وتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ، ويمارى في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع في الحيرة ، فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومضلات الاهواء ومجارات العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم (تذكرة الحفاظ جزء ١ ص ٣٠٠)

كتاب المذهب للذهبي

وجدت بدار الكتب المصرية كتاب [المذهب] للذهبي بخطه وعلى ظهر المجلد

الاول مانصه بخطه رحمه الله تعالى " المجلد الاول من كتاب المذهب في اختصار السنن الكبير تأليف الامام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي رحمه الله تعالى اختصار كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي غفر الله له، ونحت ذلك بخطه رضي الله عنه أيضا مانصه

وقال ابن الذهبي : لم أختصر من أحاديث الكتاب شيئا بل اختصرت الاسانيد فان بها طال الكتاب ، وبقيت من السند ما يعرف به مخرج الحديث وما حذف من السند الا ما قد صح الى المذكور فاما متونه فأثبت بها الا في مواضع قليلة جدا من المكرر قد أحذفها اذا قرب الباب من الباب وآتى ببعض المتن وقد تكلمت على كثير من الاسانيد بحسب اجتهادي والله الموفق، وقد رمزت على الحديث بمن خرجه من الائمة الستة [خ م د ت س ق] ولم أتم هذا فان فسح الله في الاجل طالعت عليه الاطراف لشيخنا أبي الجمال الحافظ ان شاء الله تعالى، وهذا امر بين هين كل من هو محدث فانه يقدر على رمز أحاديث الكتاب من الاطراف وما خرج عن الكتب الستة فقد بينت لك اسناده وخرجه فاكشف عليه ان شئت من كتب الجرح والتعديل فالرجال ثلاثة اما موثق مقبول واما مضعف غير حجة واما مجهول، لكن كل قسم من الثلاثة على مراتب في القوة واللين والجهالة، انتهى . والنسخة نفيسة جدا كلها بخطه خمسة مجلدات تنقص الثاني والموجود منها أربعة وفق الله لنا من يطبعه وينشره آمين

كتاب الجمع بين الصحيحين

وجدت بدار كتب رواق الاروام بالازهر جزء من الجمع بين الصحيحين للحميدي وهو السادس وقد أحبت نقل خاتمه لما فيها من النفائس قال رحمه الله تعالى : —

« تم جميع الكتاب بحمد الله وعونه ، نسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه انه ولي التوفيق وهو على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل » ثم قال عقب ذلك

« وهذه الاصول تتصل بآخر ما في الصحيحين من مسند الصحابة رضي الله عنهم

وهو آخر ما قصدنا اليه من الجمع بين الصحيحين وتمييز ما اتفقا عليه من المتن
الخرجة فيهما وما انفرد به أحدهما منها مستقصى على شرطنا مرتباً على ما بدأنا به
وبيناه مع الاختصار المعين على سرعة الحفظ والتذكار، ولم يبق للباحث المجتهد الا
النظر فيها والتفقه في معانيها ومراعاة حفظها واقامة الحجة بها، فالى هذا قصد المتقدمون
من أئمة الدين في حفظ اسنادها للتأخرين لتكون حاكمة بين المختلفين وشواهد
صدق المتناظرين رضي الله عنهم أجمعين ووفق التابعين لهم باحسان الى يوم
الدين . فأما اسنادنا في هذين الكتابين فقد روينا كتاب الامام أبي عبد الله
البخاري بالمقرب عن غير واحد من شيوخنا بأسانيد مختلفة تتصل بأبي عبد الله محمد
ابن يوسف بن مطر الفربري عن البخاري، ثم قرأته بمكة أعزها الله على المرأة الصالحة
كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزي غير مرة لعلو اسنادها فيه كأننا قرأناه
على أبي ذر عبد بن أحمد الهروي عن أبي الهيثم بن المكي بن محمد بن زراع
الكشميني عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن شير بن
ابراهيم الفربري عن أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري رحمة الله عليه وأما كتاب
الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فسمعناه بالفسطاط قراءة على الشيخ
الصالح أبي عبد الله محمد بن الفرج بن عبد الولي الانصاري وهو روايته عن أبي العباس
أحمد بن الحسن الحافظ الرازي سمعته منه بمكة سنة ست وأربعمائة قال : ثنا أبو
أحمد محمد بن عيسى بن عمرو بن منصور الجلودي قال : أنا الفقيه أبو اسحق
ابراهيم ابن محمد بن سفيان النيسابوري، قال : سمعته من الامام أبي الحسين مسلم بن
الحجاج النيسابوري رضي الله عنه

فصل

«وقد استشرف بعض الطالبين الى معرفة الاسباب الموجبة للاختلاف بين
الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين مع اجماعهم على الاصل المتفق المستبين حتى
احتيج الى تكلف التصحيح في طلب الصحيح وقررت على هذا الطالب معرفة
بعض العذر في اختلاف المتأخرين لبعدهم عن المشاهدة وانما تعذر عليه معرفة الوجه

[المنارج : ٥ م ١٩] سبب القول والفتيا مما يخالف القرآن أو السنة ٢٥١

في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم مع مشاهدتهم نزول التنزيل وأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الحضور لديه والكون بين يديه والاخذ عنه والاعتباس منه ، وهذا الذي وقع لهذا الطالب الباحث قد وقع لمن قبله انطوخ فيه والبحث عنه ، وخرج في هذا المعنى بعض الأئمة من علماء الأمة فصلا رأينا اثباته ههنا (كذا) ^(١) هذا الشبه عن هذا الطالب الباحث وعن غيره ممن يخفى ذلك عليه ويتطلع الى معرفة الوجه فيه وبهذا الفصل يتصور (كذا) لك كل ^(٢) صورة وقوع ذلك منهم وكيفية اتفاهه لهم ، حتى كانه شاهده معهم .

وهذا أول الفصل المخرج في ذلك أوردناه بلفظ مصنفه رحمه الله عليه : « قال لنا الفقيه الحافظ أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد البزدي الفارسي رضي الله عنه في بيان أصل الاختلاف الشرعي وأسبابه »
سبب التورن والفتيا بما يخالف القرآن أو السنة

« بطلعت النفس بعد تيقنها أن الأصل المتفق عليه المرجوع اليه أصل واحد لا يختلف وهو ما جاء عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اما في القرآن واما من فعله أو قوله الذي لا ينطق عن الهوى فيه لما رأت وشاهدت من اختلاف علماء الأمة في ماسبيله واحدة وأصله غير مختلف فبحثت عن السبب الموجب للاختلاف ولترك من ترك كثيرا مما صح من السنن فوضح لها بعد التفتيش والبحث أن كل واحد من العلماء ينسب كما ينسب البشر ، وقد يحفظ الرجل الحديث ولا يحضره ذكره حتى يفتي بخلافه وقد يعرض هذا في آي القرآن

« ألا ترى أن عمر رضي الله عنه أمر على المنبر ألا يزداد في مهور النساء على عدد ذكره ميلا الى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على ذلك العدد في مهور نسائه حتى ذكرته امرأة من جانب المسجد بقول الله عز وجل (وآتينم احداهن قنطارا) فترك قوله وقال : كل أحد أعلم منك حتى النساء . وفي رواية أخرى : امرأة أصابت ورجل أخطأ . علما منه رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم وان كاد لم يزد

(١) ربما سقط من الأصل كلمة هي « لازالة » أو ما في معناها وإن « هذا » بحرف عن « هذه »

(٢) لعل كلمة « كل » زائدة من النسخ

٢٧٢ سبب القول والفتيا بما يخالف القرآن والسنة [المنار ج : ٥ م ١٩]

في مهور النساء فإنه لم يجمع مما سواه والآية أعم، وكذلك أمر رضي الله عنه برجم امرأة ولدت لستة أشهر فذكره عليّ قول الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فرجم عن الأمر برجمها وهم أن يسطو بعينة بن حصن إذ جفا عليه حتى ذكره الحر بن قيس بقول الله عز وجل (وأعرض عن الجاهلين) فأمسك عمر . وقال رضي الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله مامات رسول الله ولا يموت حتى يكون آخرنا حتى قرئت عليه (انك ميت وانهم ميتون) فرجم عن ذلك ، وقد كان علم الآية ولكنه نسيها لعظيم الخطب الوارد عليه فهذا وجه عمدته ^(١) (كذا) الخلاف للآية أو للسنة بنسيان لا بقصد

«وقد يذكر العامل الآية أو السنة لكن يتأول فيها تأويلا من خصوص أو نسخ أو معنى ماء، وإن كان كل ذلك يحتاج الى دليل ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالمدينة حوله عليه السلام مجتمعين، وكانوا ذوي معاش يطلبونها وفي ضنك من القوت فمن متحرف في الاسواق ومن قائم على نخله ويحضره عليه السلام في كل وقت منهم طائفة اذا وجدوا أدنى فراغ مما هم بسبيله ، وقد نص على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه فقال: ان اخواني من المهاجرين كانت يشغلهم الصفق بالاسواق وان اخواني من الانصار كان يشغلهم القيام على نخلهم وكنت أمرا مسكينا أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مل بطني . وقد قال عمر رضي الله عنه: ألهاني الصفق بالاسواق في حديث استئذان أبي موسى ، فكان عليه السلام يسأل عن المسئلة ويحكم بالحكم ويأمر بالشئ ويفعل الشئ فيحفظه من حضره ويغيب عن من غاب عنه فلما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه كان اذا جاءت القضية ليس عنده فيها نص سأل من بحضرته من الصحابة فيها فان وجد هدهم نصا رجع اليه والا اجتهد في الحكم فيها ، ووجه اجتهاده واجتهاد غيره منهم رضي الله عنهم رجوع الى نص عام أو الى أصل اباحة متقدمة أو الى نوع من هذا يرجع الى أصل، ولا يجوز أن يظن أحدا أن اجتهاد أحد منهم هو أن يشرع شريعة

(١) وبما كان الاصل « فهذا وجه ما عمدته الخلاف » الخ

باجتهاده أو يخترع حكماً لا أصل له، حاشي لهم من ذلك، فلما ولي عمر رضي الله عنه فتحت
الامصار وتفرق الصحابة في الاقطار فكانت الحكومة تنزل بمكة أو بغيرها من البلاد
فإن كان عند الصحابة الحاضرين لها نص حكم به والا اجتهدوا في ذلك - وقد يكون
في تلك القضية نص موجود عند صاحب آخر في بلد آخر - وقد حضر المدني ما لم
يحضر المصري وحضر المصري ما لم يحضر الشامي وحضر الشامي ما لم يحضر
البصري وحضر البصري ما لم يحضر الكوفي وحضر الكوفي ما لم يحضر المدني
كل هذا موجود في الآثار وتقتضيه الحالة التي ذكرنا من مفيب بعضهم عن
مجاسه عليه السلام في بعض الاوقات وحضور غيره ثم مفيب الذي حضر وحضور
الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضره ويفوته ما غاب عنه، وقد كان علم
التيهم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالوا: لا يقيم الجنب ولو
لم يجد الماء شهرين، وكان حكم المسح على الخفين عند علي وحذيفة ولم تعلمه
عائشة ولا ابن عمر ولا أبو هريرة على أنهم مدنيون، وكان توريث بنت الابن مع
البنت عند ابن مسعود وغاب عن أبي موسى، وكان حكم الاستئذان عند أبي
موسى وأبي وغاب عن عمر، وكان حكم الاذن للحائض في أن تنفر قبل أن
تطوف عند ابن عباس وأم سلمة ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت، وكان حكم تحريم
المتعة والجر الاهلية عند علي وغيره ولم يعلمه ابن عباس، وكان حكم الصرف عند
عمر وأبي سعيد وغيرهما وغاب ذلك عن طلحة وابن عباس وابن عمر، وكذلك حكم
اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب كان عند ابن عباس وعمر فنسيه عمر سنين
فتركهم حتى ذكر بذلك فذكره فأجلاهم. ومثل هذا كثير. فمضى الصحابة رضي الله
عنهم على هذا

ثم خاف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي
ذكرنا فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاويهم، لا
تقليدا لهم، ولكن لانهم أخذوا ورووا عنهم، الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في
بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم، كاتباع أهل المدينة في الأكثر فتاوى ابن عمر،
واتباع أهل مكة فتاوى ابن عباس، واتباع أهل الكوفة في الأكثر فتاوى ابن مسعود،
(المار: ج ٥) (٣٥) (المجلد التاسع عشر)

٢٧٤ فقهاء الامصار. تعارض النصوص. الحجة بجمع السنة [المنار: ج ٥ م ١٩]

ثم أتى من بعد التابعين فقهاء الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بمصر فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد عن التابعين من أهل بلده وتأبعوهم عن الصحابة رضوان الله عليهم في ما كان عندهم وفي اجتهدهم فيما ليس عندهم وهو موجود عند غيرهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها. وكل من ذكرنا مأجور على ما أصاب فيه أجر بن وماجور فيما خفي عليه ولم يبلغه أجرا واحدا. قال الله تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ)

وقد يبلغ الرجل ممن ذكرنا نصان ظاهرهما التعارض فيميل الى أحدهما بضرب من الترجيحات ويميل غيره الى النص الذي ترك الآخر بضرب من الترجيحات أيضا كما روي عن عثمان في الجمع بين الاختين: أحلتها آية وحرمتها آية. وكما مال ابن عمر الى تحريم نساء أهل الكتاب جملة بقوله تعالى (ولا تفكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال: لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربها. وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة في الآية الاخرى ، ومثل هذا كثير

فعلى هذه الوجوه ترك بعض العلماء ما تركوا من الحديث ومن الآيات، وعلى هذه الوجوه خالفهم نظراؤهم فأخذ هؤلاء ما ترك أولئك وأخذ أولئك ما ترك هؤلاء ، لا قصدا الى خلاف النصوص ولا تركا لطاعتها كذا، ولكن لأحد الاعذار التي ذكرنا - إمام نسيان واما أنها لم تبلغهم واما لتأويل ما واما لاخذ بخبر ضعيف لم يعلم الاخذ به ضعف روايته وعلمه غيره فأخذ بخبر آخر أصبح منه أو بظاهر آية وقد يشبهه بعضهم في النصوص الواردة الى معنى ويلوح له حكم بدليل ما ويفيب كذا غيره . ثم كثرت الرّحل الى الآفاق وتداخل الناس واتقذبت أقوام لجمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وتقييده ، ووصل من البلاد البعيدة الى من لم يكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شيء منه ، وجهت الاحاديث المينة لصحة أحد التأويلات المتأولة في الحديث ، وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المؤدي الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله ، وسقط المذرع عن مخالف ما بلغه من السنن يلوغها اليه ، وقيام

[المنار: ج ٥ ١٩٨٥] سبق البخاري ومسلم الى جمع الحديث الصحيح ٢٧٥

الحجة بها عليه، فلم يبق الا العناد والتقليد
وعلى هذه الطريقة كان الصحابة رضوان الله عليهم وكثير من التابعين يرحلون
في طلب الحديث الايام الكثيرة طالبا للسنن والتزاما لها، وقد رحل أبو أيوب من
المدينة الى مصر في طلب حديث واحد الى عقبة بن عامر، وقد رحل علقمة والاسود
الى عائشة وعمر، ورحل علقمة الى أبي الدرداء بالشام، وكتب معاوية الى المغيرة
اكتب الي بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثل هذا كثير.
(قال أبو عبد الله) فقد بينا والحمد لله وجه من ترك بعض الحديث والسبب
الموجب للاختلاف وشفينا النفس مما اعترض فيها ورفعنا الاشكال عنها والله عز
وجل المعين على البحث والهادي الى الرشيد بمنه

وبهذا البيان الذي كشف به هذا الامام في هذا الفصل صورة الحال في أسباب
الاختلاف الواقع بين الصحابة فمن دونهم صح الأئمة المتقدمين رضي الله عنهم
أجمعين وجوب طلب التصحيح للنصوص الواردة في شرائع الدين، لتقوم الحجة بما
صح منها على المختلفين، وقد قام الكل منهم في ذلك بما قدر عليه، وانتهت
استطاعته اليه، الى أن انفرد بالمزية في الاجتهاد، والرحلة الى البلاد، في جمع هذا
النوع من الاسناد، بعد التبع والانتقاد، الامامان أبو عبد الله البخاري وأبو الحسين
مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنهما، فخازا قصب السبق فيه في وقتها، ولفرط
عنايتهما وبلوغهما غاية السعي والتشمير فيه قويت همهما في الاقدام على تسمية
كتايبهما بالصحيح، وعلم الله عز وجل صدق نيتهما فيه ومشقة قيامهما به وحسن
انتقادهما له، فبارك لهما فيه ورزقهما القبول شرقا وغربا، وصرف القلوب الى التعويل
عليهما والتفضيل لهما، والافتداء في شروط الصحيح بهما، وتلك عادة الله فيمن أحبه
أن يضع له القبول في الارض كما جاء في الخبر الصادق عن المبعوث الحق صلى الله
عليه وسلم، فهيننا لهما، ولمن اهتدى في ذلك بهداهما، والواجب علينا وعلى من فهم
الاسلام، وعرف قدر ما حفظا من الشرائع والاحكام، أن يخلص الدعاء (١) لهما،
ولسائر الأئمة الناقلين اليهما والينا قواعد هذا الدين، وشواهد أحكام المسلمين. ونحن

(١) في نسخة الاصل « للدعاء »

نبتل الى الله تعالى في تعجيل الغفران لها ولهم ، وتجديد الرحمة والرضوان عليهما
وعليهم ، وأن يوتى الكل منهم في أعلى درجات الكرامات ، من غرفات الجنات ،
وأن يوفقنا أجمعين للاقتداء بهم ، والسلوك في سبيلهم ، والدعاء اليه والى رسوله ، والالتقياد
لمحكيات تنزيله ، والتفقه في دينه ، والاخلاص في عبادته ، والالتقاط اليه ، وصدق
التوكل عليه ، حتى يتوفانا مسلمين مسلمين ، غير مبدلين ولا مغيرين ، وأن يغفر لنا
ولآبائنا ولجميع المسلمين .

تم الجزء السادس وبتمامه تم الكتاب . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا
محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه . وافق الفراغ من نسخه لخمس ليال بقين من ذي
القعدة سنة ثلاث وعشرين وثمانئة

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على
السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه
بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا
وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير
مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة
فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(س ١ - ٧) من صاحب الامضاء بأبي زعل (من القليوبية)

استاذي الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو وقد
علمنا وعلم الناس انكم حفظكم الله خليفة الاستاذ الامام في القيام بأمر الدين الخالص
ودحض الباطل عنه ، فان العلم الدليل ، وليس العلم بالكم الطويل ، وقد طوحتني

[المنار: ج ٥ م ١٩] تكفير المسلم بما لم يصح عنده من مسائل الدين ٢٧٧

المقادير الى بلدة ألح بلاد الله تربة ، يسكنها قوم أحلامهم دقاق ، ودينهم نفاق ، يأخذون من العلم القشور ، ومن الأخبار الموضوعة ومن العقائد الخرافية ، فهم أشاء الرجال ولا رجال ، يكفرون من قال بالمعراج بالروح ، ومن أنكر وجود الجنة والنار ، ومن نفى رؤية الإله في الآخرة ، ومن منع رجوع الشمس بعد مغيبها عند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقدم العير ، وعدم مجيء بيت المقدس بين يديه (ص) وعدم وجود الزناة وأكلة الربا بين مكة وبيت المقدس ورؤية النبي (ص) لهم ليلة الأسراء كل ذلك لحجب عنده من أن هذه عقائد لا تثبت الا بالقطع ، وبعض هذه الأشياء لم يجد (كذا) فيه دليل أصلا ، وبعضها قام عليه دليل غير يقيني مع قيام دليل العقل على خلافه ، ولما كنتم بارك الله فيكم أوقفتم أنفسكم على تحقيق مثل هذه المسائل نفعا للامة وخدمة للدين وقد شاهدنا غزارة علمكم وسعة فكركم وكثرة اطلاعكم ورسوخ ملكتكم العلمية التي قل ان توجد لاحد من معاصريكم - رجوت أن تكشف لي بقيت أبدا (؟) عن غطاء هذه المسائل وترجمها الى أصولها وتبرزها في صورتها الحقيقية غير مشوبة بخرافات المخرفين ، بأدلتها من العقل أو الكتاب أو السنة المتواترة أو المشهورة كما هو شأنكم في جميع المسائل ، لازت ينتفع به الاسلام والمسلمون

تحريرا في يوم الثلاثاء ٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ
كاتبه

ولدم محمد عليوه

[المنار] يؤخذ من هذا الكتاب بضع مسائل ينبغي بيان الحق فيها ، وها نحن أولاء نتكلم عليها واضعين لكل واحدة منها عنوانا

﴿ ١ - تكفير المسلم بما لم يصح عنده من مسائل الدين ﴾

قد اعتاد الناس الجراءة على التكفير بغير علم حتى ان بعض المؤلفين في الفقه توسعوا في المكفرات فزادوا الناس جراءة على تكفير من يخالف مذاهبهم وتقاليدهم وان لم تكن من الدين في شيء . وقد بينا من قبل أن الاصل في ارتداد المسلم عن دينه هو جمعه أو تكذيبه شيئا أو شكه في حقيقة شيء يعلم أن النبي (ص) جاء به من أمر الدين ، اذ يكون بذلك غير مؤمن بما جاء به الرسول (ص) ولما كان الجهل في

٢٧٨ الفرق بين المعلوم بالضرورة وغيره من أمر الدين [المنار: ج ٥ ص ١٩]

دار الاسلام غير عذر جمل العلماء أمور الدين قسيتين [أحدهما] ما لا يعذر أحد في دار الاسلام بمجهله وان كان عاميا وهو المجمع عليه المعلوم من أمر الدين بالضرورة كفرضية الصلاة والزكاة والحج وكبحریم الفواحش ماظهر منها وما بطن كالقتل والزنا وشرب الخمر والسرقه والكذب والخيانة . فمن جحد من هذا القسم شيئا كفر وعد مرتدا عن دين الاسلام . وانما يعذر بمجهل بعض هذه المسائل من كان قريب عهد بالاسلام لم يمر عليه من الزمن بعد اسلامه ما يكفي لوقوفه على ذلك، ومن نشأ بعيدا عن دار الاسلام كشاهق جبل (كما يقولون)

[الثاني] ما شأنه أن لا يعرفه الا المشتغلون بعلم الدين من فروع المسائل وأصول الاحكام وأدلتها ، فهؤلاء العلماء يؤخذون بحسب علمهم ، فمن جحد منهم شيئا من الدين يعلم أنه ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله أو أجمع عليه الصحابة ولم يكن متأولا في جحدته كان بذلك مرتدا كما هو ظاهر

واما من جحد أو أنكر شيئا مختلفا في أصله أو دليله أو في دلالة ذلك الدليل عليه لانه لم يصح عنده أو لمعارض رآه أرجح منه بضرب من التأويل فلا يعد مرتدا بذلك، ولكنه اذا انتهى به التأويل الى مخالفة جماعة السلف الصالح من أهل الصدر الاول عد مبتدعا وان كان موحدا مقبلا لاركان الاسلام

ولم يكفر أهل السنة من أنكر خبر المراج ولا من قال إنه كان الروح فقط بل قال بذلك بعض أهل السنة ولا من قال إن الجنة والنار لم يخلقا بعد وإنما يخلقان يوم القيامة ، ولا من قال ان المؤمنين لا يرون ربهم في الجنة، فقد قال بذلك جمهور من الجهمية والمعتزلة ولم يكفرهم علماء السلف به كما ترونه في أشهر كتب العقائد التي تدرس في الأزهر وغيره من المدارس الاسلامية في جميع الاقطار

واذا كان لا يكفرون من ينكر أصل المراج الا اذا انكر الاسماء المنصوص في القرآن ولا يكفرون من ينكر رؤية الباري تعالى في الآخرة المصرح بها في الاحاديث المتفق عليها فكيف يكفرون من ينكر رجوع الشمس للنبي (ص) بعد غروبها والحديث فيه غير صحيح أو ينكر محبى بيت المقدس الى الحجاز وكون المذنبين الذين رآهم النبي (ص) يمدبون كانوا موجودين بأجسادهم بين مكة وبيت

[المنار : ج ١٩ م ١٩] المراج ورؤية النبي (ص) بيت المقدس ٢٧٩

المقدس ولا نص على هذا في كتاب ولا سنة وما عهدنا احدا من علماء المسلمين
بجملة من عقائد الدين ، وسرى معنى ذلك في المسائل الآتية

٢- المراج روي أم جسيدي

قد فصلنا القول في مسألة المراج في المجلد الرابع عشر من المنار فيراجع في
ص ٦٦٤ و ٧٣٢ منه وفيه ان عمدة من قال ان المراج كان في المنام حديث شريك
عند البخاري

٣- رؤية النبي (ص) بيت المقدس

ان رؤية النبي (ص) لبيت المقدس ووصفه اياه للمشر كين وهو بمكة ليس
معناه ان بيت المقدس انتقل الى مكة وإنما معناه أنه مثل له كما مثلت له الجنة في
عرض الحائط ولفظ الحديث في ذلك كما ورد في حديث جابر في الصحيحين أنه سمع
رسول الله (ص) يقول « لما كذبتني قريش قبت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس
فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » هذا نص حديث الشيخين ومعنى جلاه
أظهره ، وقال بعض العلماء : معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته . قال الحافظ
في الفتح : ووقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد « فخل لي بيت المقدس »^(١) فطفقت
أخبرهم عن آياته » فان لم يكن مغيرا من قوله « فجلي » وكان ثابتا احتمل أن يكون
المراد انه مثل قريبا منه كما قدم نظيره في حديث « أريت الجنة والنار » وتأول قوله
« جيء بالمسجد »^(٢) أي جيء بمثاله — والله أعلم . ووقع في حديث شداد بن أوس
ما يؤيد الاحتمال الاول ، ففيه « ثم مررت بعير لقريش » — فذكر القصة —
ثم أتيت أصحابي قبل الصبح فأتاني أبو بكر فقال : أين كنت الليلة ؟ فقال « اني
أتيت بيت المقدس » فقال انه مسيرة شهر فصفه لي ، قال « ففتح لي صراط كأنني
أنظر اليه لا يسألني عن شيء الا أنبأته عنه » اه المراد من عبارة الفتح . وأما لفظ
حديث أم سلمة عند مسلم « فرفع الله لي بيت المقدس أنظر اليه » فيتنفق مع

(١) خيل اليه بمعنى مثل له أي رأى خياله ومثاله . وفي رواية لها عند أبي يعلى وابن عساكر
« فأتاه جبريل فصوره له في جناحه » (٢) أي في حديث ابن عباس الذي ذكره قبل ذلك
وهو عند أحمد والنسائي والبيهقي وفيه انه جيء بالمسجد حتى وضع دون دار غفيل

٢٨٠ رؤية النبي (ص) المذنبين يعذبون [المنار: ج ٥ م ١٩]

ما تقدم بمعنى انه رفع اليه مثاله ، وقد غفل من زعم أن بيت المقدس نقل من مكانه الى مكة عما يترتب على ذلك من استحالة وجوده عند دار عقيل كما ورد في رواية ابن عباس لان وضع الجسم الكبير في المكان الصغير الذي لا يبلغ عشرة محال ، ومن كون وجوده بمكة يستلزم أن يراه جميع الناس ولو وقع ذلك لتواتر ، ومن كون نقله يستلزم علم جميع أهله ومن حولهم به ولو وقع ذلك لتواتر نقله عنهم . وقد غفل من مال الى ترجيح ذلك اللفظ على ما هو أصح منه وأقرب الى المعقول عن كل ذلك واكتفى بأن هذا أبلغ في المعجزة وأن الله قادر عليه ، وهو لم يكن مما وقع به من التعدي ولا ترتب عليه إيمان أحد . فهل يبطل الله تعالى سنته في الكون عبثاً ؟ وهذا التوجيه يحتاج اليه في رؤية بيت المقدس من اعتماد قول الجمهور ان الاسراء فقط أو الاسراء والمعراج معا كانا في حال اليقظة بالروح والجسد كمن قال ان ذلك رؤيا منامية أو مشاهدة روحية وقعت حال اليقظة ، لأن سؤال قريش النبي (ص) أن يصف لهم بيت المقدس انما كان في اليقظة قطعا بغير خلاف

﴿ ٤ - رؤية النبي (ص) المذنبين يعذبون ﴾

اذا كانت رؤية النبي لبيت المقدس من قبيل الكشف الذي يحصل بادرالك النفس للشيء بغير واسطة العينين أو يجعل الله تعالى مثال ذلك أمام العينين فالظاهر ان رؤية من رآهم يعذبون بذنوبهم من قبيل رؤية المثال بالاولى ، لان بيت المقدس من عالم الشهادة وعذاب المذنبين بما روي في الحديث من عالم الغيب ليس له مكان في الدنيا يشاهد بين مكة وبيت المقدس . وكل ذلك من آيات الله التي أراه اياها في ليلة الاسراء . ومن هذا القبيل رؤيته الجنة والنار وهو يخاطب كما روي في الصحيحين . وتعبيره عن ذلك في بعض الروايات بأنهما مثلتا له في الجدار . وقد وصفت الجنة في القرآن بقوله تعالى (كهرض السموات والارض) فهل تجتمع هي والنار في جدار المسجد ؟ وورد أن من أولئك المعذبين من تتأقل رؤوسهم عن أقدام الصلوات — والصلاة لم تكن شرعت — فقد تمثل له (ص) عذابهم قبل وتوابعه بالنسبة الى أمته

[المنار : ج ٥ م ١٩] رجوع الشمس بعد غروبها . وجود الجنة والنار ٢٨١

ان رؤية البشر الروحية لبعض الموجودات الغائبة عن أبصارهم قد ثبتت بالتجارب الكثيرة في جميع الاقطار ، ومنها ما ثبت للدكتور شبلي شميل من علماء العصر الماديين ، وقد ذكرنا في بعض مجلدات المنار خبره مع المريض الذي كان يعالجه ويسمع منه الاخبار الكثيرة عما يدركه بنفسه غائبا عن حسه كإخباره عن قريب له في الاسكندرية بأنه سافر منها الى القاهرة في القطار الذي يتحرك من الاسكندرية في ساعة كذا ثم إخباره بوصوله الى محطة القاهرة وركوبه العرببة منها قاصدا دار المريض ثم بوصوله الى باب الدار ، وكان الامر كما قال

وأذكر مما وقع لي من ذلك في الصغر أنني هربت مرة من الكتاب واختبأت في بستان لجدي أم والدتي وكنا نحن مصطافين في بستان لنا يبعد عن هذا البستان مسافة زهاء ربع ساعة وكانت جدتي في بستاننا فتمثلت لي خارجة منه حتى كأني أنظر اليها متبعا خطواتها من أول الطريق الى آخره حتى إنني ناديتها عند ما وصلت الى مدخل بستانها وقبل أن تدخله ويقع بصري عليها فأجابتي وكنت أعتقد أنها تحمل الي ما يطيب لي أكله فكان كذلك . ومثل هذا كثير

ولكن ما يقع للانبياء من ذلك فوق ما يقع لبعض البشر كذلك المريض وبعض الصوفية وأكمل منه لانه يشمل عالم الغيب وما لا يصل اليه غيرهم من عالم الشهادة

❦ ٥ — رجوع الشمس بعد غروبها أو وقوفها للنبي (ص) ❦

يرى السائل تفصيل القول في هذه المسألة في ص ٧٠ من مجلد المنار التاسع وحسبك منه قولنا هنالك « ان مسألة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم قد وردت في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج ، ووردت في رواية أقوى منها في مناقب علي كرم الله وجهه . وهذه الرواية وثقها الطحاوي في [مشكل الآثار] وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه في اللآلئ » فان شئت الزيادة وما قيل في الطعن في الرواية فارجع الى المجلد التاسع أو الى الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للإمام الشوكاني

❦ ٦ — وجود الجنة والنار ❦

ظواهر نصوص الكتاب العزيز والاحاديث الصحيحة المتفق عليها تدل على

(المجلد التاسع عشر)

(٣٦)

(المنار : ج ٥)

٢٨٢ رؤية الباري وإثارة الذات الروحية [المزار: ج ١٩ م ٥]

أن الجنة والنار داراي الجزاء للابرار والفجار هما عالمان مخلوقان ، ولا نرى ما يعارض هذه الظواهر من الدلائل العقلية ولا الثقيلة ، فان كان لدى السائل ما يعارض ذلك فيلذكره لنا لنبين رأينا فيه

٧ - رؤية الباري سبحانه وتعالى في الآخرة ﴿

إن من أصول العقائد القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ان نسيم الآخرة قسمان روحاني وجسماني لان البشر لا تنقلب حقيقتهم في الآخرة بل يبقون بشرا أولي أرواح وأجساد ولكن الروحانية تكون هي الغالبة على أهل الجنة، فيكون النعيم الروحاني عندهم أعلى من النعيم الجسماني. ومن الثابت بالاختبار والتجارب أن العلماء الراسخين والحكماء الربانيين والفلاسفة الماديون^(١) والرؤساء السياسيين كلهم يفضلون الذات العقلية الروحية والحياة المعنوية على الذات المادية الجسدية، فترى أحدهم يزهد في أطايب الطعام، وكؤوس المدام ، ويتجافى جنبه عن مضجعه ، ذاهلا عن حقوق حليته ، تلذذاً بحلّ مشكلات المسائل واكتشاف أسرار الكون ، أو بالنفث في عقد السياسة ، وما تقتضيه أعباء الرياسة ، ألا وإن أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هذه الدنيا هو معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته في خلقه والوقوف على سننه وأسراره فيها، وكشف المحجب عما أودع فيها من الجلال والجلال، وفي النظام الذي قامت به من آيات الكمال، التي هي مجلى صفات بارئها منتهى الجمال والجلال والكمال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ،

وما زال أصحاب الهمم العالية من العلماء والحكماء يستدلون بما ظهر لهم من تلك السنن والآيات على كمال مبدعها ومبدئها ومصرفها ، وتتطلع عيون عقولهم الى كيفية صدور الوجود الممكن الحادث، (وهو مجموع هذه العوالم العلووية والسفلية) عن الوجود الازلي الواجب، ويهتمون بارتقاء الاسباب للوصول الى معرفة أول موجود ممكن منها، وكيف ابتدأت سلسلة الاسباب بذلك بتحول البسائط وتولد بعضها من بعض ، قبل وجود هذه المركبات المعروفة من السماء والارض ، طمعا في معرفة حقيقة ذلك

(١) أي وكذا الفلاسفة الماديون. وهو استعمال يمدد بليغا اذا كان لما رفع خصوصية في السياق ككون الماديين هنا مظنة لخالفه الروحانيين . ويقابل هذا الاستعمال في نصب ما هو في مقام الرفع ما نصب على الاختصاص أو المدح والذم

الوجود الأعلى ، على عجزهم عن ادراك كنهه أدنى هذه الموجودات السفلى ، وقد اختلف الحكماء في امكان وصول العلم البشري الى حقيقة الوجود الاول الازلي وكيفية صدور الموجودات الممكنة عنه - فقال بعضهم بامكان ذلك وتوقع حصوله في يوم من الايام ، وقال آخرون بأنه فوق استعداد الانام ،

والحق في ذلك ما هدانا اليه دين الله الحق ، وهو أن ادراك أبصار الخلق له سبحانه وتعالى وإحاطة علمهم به من المحال الذي لا مطمع فيه (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ولكن العجز عن الادراك والاحاطة ، لا يستلزم العجز عما دون ذلك من العلم والمعرفة ، التي ترتقي الى الدرجة التي عبر عنها بالتجلي والرؤية ، فان كانت ظواهر الآيات في ذلك متعارضة ، فالاحاديث والآثار الصحيحة المبينة له جليلة واضحة انما وقع المراء بين المتكلمين والمتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة «الرؤية» فأثبتها أهل الأثر لدلالة ظواهر القرآن ونصوص الاحاديث عليها ، ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات ، بدعوى استلزامها التحيز والحدود وغير ذلك من صفات الاجسام ، وقالوا اننا لا نبحث في كيفيتها كما اننا لا نبحث في كيفية ذاته ولا صفاته تعالى ، فانا نجزم بأن له علما وقدرة وسمعا وبصرا ولكن علمه ليس كعلمنا ناشئاعن انطباع صورة المعلومات في النفس ، ومكتسبا لها بالحواس أو الفكر ، وكذلك قدرته وسائر صفاته ، فنحن نجتمع بين الايمان بالنصوص في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر شؤونه ، وبين تنزيهه عما لا يليق به من مشابهة خلقه الممنوعة بدلائل النقل والعقل ، كما قال عز وجل (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير)

ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافية الرؤية للتنزيه الذي هو أصل العقيدة وركنها الركين . ولكنهم لا يستطيعون انكار الحقيقة التي أثبتتها أهل السنة والجماعة اذا عبر عنها بغير لفظ الرؤية كأن يقال ان أعلى نعيم أهل الجنة لقاء الله تعالى بتجليه عليهم تجليا يحصل لهم به أعلى ما استعدت له أنفسهم وأرواحهم من المعرفة ، وأن أعظم عقاب لأهل النار حجبهم عن ربهم وحرمانهم من هذا التجلي والعرفان ، الخاص بدار الكرامة والرضوان ،

فانهم لا يمتنون بتأويل مثل قوله تعالى في المتقين (تحييتهم يوم يلقونه سلام) وقوله في الكافرين (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) كما يعتنون بتأويل قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بأن النظر معناه الانتظار والرجاء ، ومارد به بعضهم على بعض في الآية يطلب من الكشف والبيضاوي وحواشيها وساير كتب التفسير ومن كتب الكلام وشروح الاحاديث

وكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمال تنازع ومن غرائب جدلهم ان كلا منهم يستدل على مذهبه بطلب موسى عليه السلام رؤية ربه وقوله تعالى (لن تراني . .) الآية فأهل السنة يستدلون على جواز الرؤية بسؤال الكلبي اياها وعدم انكار الباري تعالى عليه هذا السؤال كما أنكر على نوح عليه السلام سؤاله نجاة ولده الكافر بناء على أنه من أهله الذين وعده بنجاتهم — وبتعلق الرؤية على جائز وهو استقرار الجبل ، والمعتزلة يستدلون بالآية على عدم الرؤية بعدم اجابة الكلبي اليها وتعليقها على ما علم الله أنه لا يكون واذا كانت الآيات التي استدلت بها كل فريق ليست نصا قاطعا في مذهبه ففي الاحاديث المتفق عليها ما هو نص قاطع لا يحتمل التأويل في الرؤية وتشبيهها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لامضارة فيها ولا تضام ولا ازدحام. وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري احد عشر حديثا في ذلك، وجمع ابن القيم في [حادي الارواح] ما ورد في ذلك من الاحاديث فكان ثلاثين حديثا . قال الحافظ ابن حجر عند اشارته الى ذلك : وأكثرها جياذ . وزاد ابن القيم ما ورد عن الصحابة والتابعين وأئمة علماء الامصار في ذلك وحملهم اياه على ظاهره مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، ولكن بعض مثبتي الرؤية من أهل السنة اختلفوا في معناها فكان بعض ما قالوه تأويلا أبعد من تأويل المنكرين

قال الحافظ في الكلام على تفسير (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) من شرح كتاب التوحيد من البخاري ما نصه: واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم بحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المراتيات ، وهو على وفق قوله في حديث الباب « كما ترون القمر » الا أنه منزه عن الجهة والكيفية وذلك

أمر زائد على العلم . وقال بعضهم ان المراد بالرؤية العلم ، وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الانسان نسبتها الى ذاته المخصوصة نسبة الابصار الى المرئيات . وقال بعضهم : رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم . وهذا أقرب الى الصواب من الاول اهـ

ثم ذكر ماتعقب به من قال ان المراد بالرؤية العلم . وإنما قال في القول الاخير انه أقرب الى الصواب لما فيه من التفويض وعدم التحديد ، وهذا المعنى هو الذي قال به الغزالي وأوضحه في كتاب المحبة من الاحياء بما يعهد من قرأ الاحياء من بيانه وفصاحته هذا وان احصاء ما ورد في هذا الباب مما استدل به على الرؤية اثباتاً ونفياً من الآيات والاحاديث وسرد كلام المثبتين والنفاة وبيان الراجح منه والمرجوح يستغرق عدة أجزاء من المنار ، ولن يرضى ذلك منا أكثر القراء ، وجملة القول في المسألة ان الآيات القرآنية فيها ليس فيها نص قاطع لا يحتمل التأويل ، ولكن الاحاديث الصحيحة والحسنة صريحة في ذلك لا تحتمل التأويل ، والمرفوع منها مروى عن أكثر من عشرين صحابياً دع الموقوف والآثار ، ولم يرد في معارضتها شيء أصرح من حديث عائشة المتفق عليه عن مسرق قال قلت لعائشة (رض) يا أمته هل رأى محمد (ص) ربه ليلة المعراج؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ! أين أنت من « ثلاث من حدثكن فقد كذب » من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب ، وفي رواية « فقد أعظم على الله الفرية » ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) ومن حدثك أنه كنتم (أي أن النبي (ص) كنتم شيئاً من الدين) فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) — الآية — ولكن رأى جبريل في صورته مرتين . اهـ

وقد ذكر النووي في شرح مسلم ان عائشة لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة الخ وذكر الحافظ في الفتح انه قال ذلك تبعاً لابن خزيمة

ذاهلا عما ورد في صحيح مسلم الذي شرحه ، وذكر ان في حديث مسروق عنده زيادة عما ذكرناه من لفظ البخاري وهي : — قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت ألم يقل الله (ولقد رآه نزلةً أخرى) فقالت أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال « إنما هو جبريل » الخ

فعلم من هذا ان عائشة تنفي دلالة سورة النجم على رؤية النبي (ص) لربه بالحديث المرفوع وتنفي جواز الرؤية مطلقا أو في هذه الحياة الدنيا بالاستدلال بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) وقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ويعارض هذا الاستدلال انه ليس نصا في النفي حتى يرجح على الاحاديث الصريحة في الرؤية وقد قال بها بعض علماء الصحابة . وقال بعض العلماء ان عائشة ليست أعلم عندنا من ابن عباس الذي أثبت الرؤية للنبي ليلة المعراج ، وفي هذا القول بحث فان ابن عباس استنبط اثبات الرؤية في الدنيا من الآيات وقد انفرد بذلك دون سائر الصحابة . وأما من روي عنهم إثبات الرؤية في الآخرة فليس فيهم أحد يقال انه أعلم من عائشة الا والدها الصديق وعلي المرتضى وزيد بن ثابت وقد يذكر في طبقتها منهم العبادلة . ولكن الحديث عن أبي بكر وزيد بن ثابت في هذا الباب ضعيف وعن علي موضوع حتى ان ماروي عنها نفسها فيه أقوى سنداً . ويقول النفاة لو رأى النبي (ص) ربه ليلة المعراج لما خفي بأذلك عن عائشة مع ما علم من حرصها على العلم ، وسؤالها اياه عن آية النجم ؟ وقد يقول النفاة أيضا : لو كانت الرؤية في الآخرة عقيدة يطالب المسلمون بالايان بها لما جهلتها عائشة . ولكن هذا القول لا ينهض لمعارضة اثبات المثبتين لها بالاحاديث الصريحة ، وانما قصاره ان يعد دليلا على أن المسألة من أمور الآخرة التي كان يذكرها النبي (ص) أحيانا لبعض الخواص اذ لا يضر العامة جهلها ، فلم يقصد أن تكون عقيدة يدعى اليها مع التوحيد .

وأحسن ما يجاب به عن استنباط عائشة وأقواه عند المثبتين أن يقال أنها تريد به نفي الرؤية في الدنيا كما قال بذلك الجمهور ولا تقاس شؤون البشر في الآخرة على شؤونهم في الدنيا لان لذلك العالم سننا ونواميس تخالف سنن هذا العالم ونواميسه حتى في الامور المادية كالاكل والشرب والمأكول والمشروب . فإما الجنة غير آسن فلا يتغير كماء الدنيا بما

[المثار: ج ٥ م ١٩] مخالفة رؤية الباري وسائر شؤون الآخرة لما في الدنيا ٢٨٧

بمخالطه أو مجاوره في مقره أو جوهه، وخمرها ليس فيها غول يقتال العقل ولا يصددهون عنها ولا ينزفون، ولبنها لا يعتريه فساد ولا تخالطه (ميكروبات) أمراض ، وكذلك فاكيتها وثمراتها هي على كونها أعلى وأشهى مما في الدنيا لا تفسد . قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الاسماء . وكذلك أمزجة أهلها ، هي أصح وأسلم من أمزجة أهل الدنيا حتى أنهم يأكلون ويشربون فيكون هضمهم بالتبخر ورشح العرق ، ففي الحديث الصحيح انه جشاء ورشح لها ريح المسك . ولا عجب في ذلك فان علماء العصر الذين يظنون ان في كوكب المريخ أحياء عقلاء كالشجر يجمزون بأنهم لا بد ان يكونوا أكبر منا أجساما وأسرع من الخيل المادية في حركتهم المادية ، هذا وعالم المريخ لا يعرف فيه من الحياة الروحية العالية مثل ما ورد في حياة الجنة ، ولكن ما ذكره علماء العصر في شأنه يقرب تصور ما ورد في صفة الآخرة من الاذهان المقيدة بالمألوفات ، فان بعض الناس انما ينكرون أخبار الآخرة لانها مخالفة لما جردوا عليه من المألوفات، ولوانهم أخبروا بما اكتشف من أسرار الكون في هذا العصر كخواص الكهرباء والراديو قبل ان يصير مشهودا مقطوعا به لما صدقوه، قال الله عز وجل في بيان جزاء المؤمنين القائمين بأعمال الايمان حق القيام (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ووضح ذلك رسوله (ص) في حديث قدسي رواه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال (ص) « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وروى أهل الكتاب مثل هذا عن سيدنا عيسى (ص) فاذا ثبت لنا ان كل ما في دار الكرامة أعلى وأسمى مما في الدنيا حتى الاجسام وصفات الناس وغرائزهم وانه لا يشارك ما في الدنيا الا بالاسم ، الذي عبر به لضرورة تقريب تلك المعاني الغيبية من الفهم ، فهل يصح بعد ذلك أن نعود الى أعلى ما هنالك من الشؤون الالهية المعنوية فنشبهه بشؤون الدنيا فنجعل تعجلي الرب سبحانه وتعالى لاولئك العباد المكرمين الذين رقام وكلمهم وأهلهم الكمال معرفته تميزا ومشابهة الخلق ؟ ونجعل ما يحصل لهم من ذلك التعجلي من العلم الاكمل والمعرفة العليا التي تستغرق أرواحهم وجميع مشاعرهم والظاهرة والباطنة إدراكا لكنه عز وجل واحاطة

٢٨٨ ضرب الامثال لاختلاف عالمي الغيب والشهادة [المنار : ١٩ م]

علم به تعالى عن ذلك ؟ ثم نمدر أنفسنا على هذا الجهل بأن ذلك قد سمي رؤية ومعينة ولا بد ان تكون الرؤية هنالك كرويتنا التي نعهدها هنا ؟

سبحان الله ! أليكون كل ما هنالك من أعيان الخلوقات وصفاتها وأحوالها مخالفا لما له اسمه منها هنا الا ما يتعلق بشأن الخالق عز وجل فهو الذي يجب ان يكون مشابها لشؤون الخلقين بعضهم مع بعض ؟ أهذا هو المذهب الذي يدعي أصحابه اتباع العقول ، ويسخرون من أهل السنة بزعمهم انهم جحدوا على بعض أحاديث الآحاد من المنقول ؟ وهم الذين قد جحدوا على مادون ذلك من الالفاظ العربية التي استعملت في صفات الباري تعالى وشؤونه وأخبار عالم الغيب فتراهم يصرفونها عن معانيها ويعطون مدلولاتها المقصودة لتوهمهم انها لا تكون صحيحة الا اذا كانت مدلولاتها في عالم الغيب كمدلولاتها في هذا العالم من كل وجه. ثم نحكموا فأثبتوا بعض صفات الباري تعالى بدون تأويل كالعلم والقدرة والارادة وأولوا أكثرها كالعلم والرحمة والمحبة والغضب والرضا والعلو والوجه واليدين الخ وهذا عين التشبيه ، وهذا عين التعطيل — وأهل السنة يثبتون له تعالى كل ما أثبتته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) وينزهونه فيه كله عن مشابهة خلقه ولا يرون فرقا بين العلم والرحمة والكلام فكلها من صفات البكال الثابتة له مع التنزيه — فعلمه ليس كعلم البشر منتزعا من صور المعلومات بالحس أو الفكر — وكلامه ليس كيفية عرضية تحصل بتموج الهواء بتأثير الصوت الذي يخرج من الفم — وكذلك سائر شؤونه تعالى ، فتجلبيه لخواص خلقه في دار كرامته ليس كظهور بعضهم لبعض ، وما يحصل لهم من رؤيته ومعرفته وسماع كلامه لا يشابه ما يكون من بعضهم لبعض ، واذا كنا قد عرفنا بالمشاهدة في عالم الحس ان إيقاد مصباح زيت الزيتون أو زيت البترول لا يشبه إيقاد مصباح الكهرباء بوجه من الوجوه ولا يشترط في الثاني ما يشترط في الاول — ونجزم بأن هذا الفرق لا يمكن ان يتصوره من لم يعرف الكهرباء البتة — فيجب علينا ان لا نستغرب ما هو أبعد من هذا الفرق بين عالم الغيب والشهادة في اختلاف الكيفية لحقيقة واحدة كالرؤية. ومن كان له حظ من معرفة الله تعالى في الدنيا لا يحتاج الى الامثال ، وحسب المحروم منها ان ينتفع بالامثال ، (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

مكتبة دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

١٤

التيوبوركيولين Tuberculin

زيادة الياء والنون في هذا اللفظ اللاتيني هي — كما قلنا — للدلالة على المادة أولاً أصل الفعل في الدرن [Tubercle] أهني أنه اسم خلاصة تستخرج من باسيل الدرن نفسه أو مما يربي فيه . فهي نوعان نوع يسمى بالتيوبوركيولين العتيق والآخر بالتيوبوركيولين الجديد . وأول من أدخل هذا الصنف من العلاج في الطب هو العلامة كوخ سنة ١٨٩٠ محاولاً بذلك إيجاد دواء شاف للدرن بكافة أنواعه ، ولكنه لم يتحقق غرضه إلى الآن

أما التيوبوركيولين العتيق فهو عبارة عن السموم التي يفرزها ميكروب الدرن في السائل الذي يربي فيه كالمرق مع الجلوسرين ، ويتمحصل عليه بالتصفية خلال المرشحات لفصل الميكروب عنه فهو في الحقيقة سموم الميكروب التي تخرج من جسمه في السائل المذكور ، ويكون لونه أصفر أذكن وقوامه غليظاً . وفائدة الجلوسرين حفظه من الفساد وإذا حقن هذا السائل في الشخص السليم لا يحدث منه شيء ، ولكن إذا حقن في إنسان أو حيوان مصاب بدرن في أي عضو من جسمه ارتفعت حرارته وأصابته رعدة وأحس بتوعك وآلام في مفاصله وقد يفرز زلال في بوله أو يظهر طفح على جلده ويلتهب المكان المصاب بالدرن . ونظراً لشدة هذه الأعراض لم يستحسن الأطباء معالجة الدرن بهذه الطريقة ، واقتصر بعضهم على استعمالها في معالجة الدرن الجلدي المسمى لويس (داء الذئب) لأن ما يصيب الجلد من الحقن (المنار: ج ٥) (٣٧) (المجلد التاسع عشر)

٢٩٠ طرائق استعمال التيوبركيولين للتشخيص [المنازل: ج ٥ م ١٩]

يمكن مراقبته وتلافيه . زد على ذلك ان تنبيه الجلد المريض بهذا الداء قد يكون نافعا فيه ، ومع ذلك يأبى كثير من الاطباء استعماله حتى في هذا الداء . فاقصرت فائدة التيوبركيولين على استعماله في تشخيص الدرن في الانعام كالبقرة فان السليم منها اذا حقن به لم يصبه شيء ، ولكن اذا حقنت البقرة المسلوقة ارتفعت حرارتها أي أصابتها الحمى . واستعماله لتشخيص الدرن في الانسان لامسوغ له مع ان هناك طرقا أخرى تفضله

أما التيوبركيولين الجديد فهو عبارة عن خلاصة تستخرج من نفس جسم الميكروبات الدرنية، وبعبارة أخرى هو السم الكامن في أجسامها فهو غير السم الذي تفرزه في السائل الذي تربي فيه . واذا حقن هذا التيوبركيولين الجديد أيضا في السليم لا يحدث منه شيء ، واذا حقن في المريض حدثت أعراض كالاعراض المذكورة آنفا غير أنها لا تكون عادة مصحوبة بالانفعال الموضعي في مكان الدرن فلا يتنبه ولا ياتهب . وهو قليل الاستعمال لتشخيص مرض الانعام ، ولكن بعض الاطباء يستعملونه في معالجة الدرن الانساني وان خالفهم الآخرون في نفعه، بل منهم من يرى ان ضرره أكبر من نفعه

واذا حقن تحت الجلد حدث منه خراج، ولذلك اضطر بعض المصانع الى ازالة بعض المواد التي تشبه الدهن منه وهي التي يظنون انها السبب في التقيح وفي عسر امتصاصه

وهناك عدة طرائق لاستعمال التيوبركيولين العتيق للتشخيص أشهرها أربع وهي :-

(١) الحقن تحت الجلد (٢) وضعه على الملتحمة عند الموق ويبقى الجفنان مفتوحين بضع دقائق فاذا كان في جسم الشخص أي درن احمرت ملتحمة الجفن الاسفل وكذلك اللحمة الدمية التي في الموق بعد ثلاث ساعات ويزداد الاحتقان بعد ست ساعات وترم اللحمة ويذكر الدمع وتغطي العين ببعض الافراز (الرمص) ويصل هذا الالتهاب الى اقصاه بين ٦ ساعات و١٣ ساعة ثم يأخذ في الزوال بعد يومين أو أكثر، وهذه الطريقة ليست خالية من الخطر على العين . ومحلول التيوبركيولين الذي

يستعمل فيها يكون بنسبة ٥ ر . في المائة من الماء المقطر العقيم
(٣) بطريق الجلد وذلك بتلقيح الجلد كما يفتح لاجل الوقاية من الجدري
فيحصل التفاعل باحمرار الجلد وتورمه في ٢٤ ساعة ويشد بعد يومين ، وفي اليوم
الثالث يبدأ في الزوال ويتم ذلك في اليوم الرابع . وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في
الاطفال الذين يقل عمرهم عن خمس سنوات

(٤) يعمل مرهم من التيوبركولين مع [اللانولين Lanoline]^(١) (دهن
يستخرج من صوف الغنم) بنسبة (١ الى ١) ويدهن به جزء من الجلد فيلتهب بعد
يوم أو اثنين وقد يظهر فيه دم أو بثرة . واعلم انه قد يتأثر الجوان من التيوبركولين
ويكون سائما اذا سبقت اصابته بالدرن وشفي منه . واذا حقن تحت الجلد بمقدار كبير
(١ ر . السنتمتر المكعب) ولم يحصل انفعال دل على السلامة من المرض مطلقا أو على
الاقل من المرض الفعال في البنية فلا ينافي ذلك وجود مرض سابق شفي منه المحقون

الجمرة الخبيثة Anthrax

يعرف هذا المرض في الحيوانات باسم (الحمى الطحالية) وهو يصيب الانسان
أيضا . وينشأ من ميكروب باسيلي يوجد في العضو المصاب وفي الدم والاحشاء
والافرازات ، ولا حركة له ، وطوله يختلف من ٥ مك^(٢) الى ٢٠ مك وقد يكون
مستقيما أو منحنيا قليلا ويتكاثر بالانقسام ويتكون في داخله أيضا حبيبات ، وهذه اذا
انفصلت منه استطالت ونشأ منها الباسيل ، ولكن التكاثر بهذه الطريقة الحبيبية
لا يحصل الا في خارج أجسام الحيوانات . وهذه الحبيبات تقاوم درجات كبيرة جدا
من الحرارة فلا يسهل قتلها ولو بالجليد الا بعد بضع دقائق

يصيب هذا الداء الحيوانات اذا لقحت بالميكروب بالعض أو بلدغ الحشرات ،
وقد تصاب أيضا به اذا أكلت من مرعى تلوث ببراز الحيوانات المريضة
أما إصابة الانسان به فتكون اما من الحيوانات الحية ، ولذلك تصاب به الرعاة كثيرا ،
واما من جمث الموتى بهذا الداء — وهو الاكثر — كما يحصل للتصايبين (الجزائريين)

(١) كلمة لاتينية معناها حرفيا « دهن الصوف » (٢) مك مختصر كلمة ميكرون

والدباغين بتلقيح أجسامهم بالميكروب اذا مست شيئاً من جثة الحيوان . وقد تحصل العدوى من أكل اللحم المصاب أو من مس الصوف والشعر المأخوذين من الحيوانات المريضة، وقد يصل أيضاً هذا الداء بطريق التنفس بأن يستنشق ميكروبه مع التراب والغبار الذي يمتطير من البضائع الصوفية ونحوها اذا لم يطهر الصوف قبل صناعته ومن النادر ان ينتقل هذا المرض من انسان الى آخر بمجرد اللمس ، وقد

شوهه المرض بين تجار الخرق البالية التي تستعمل في صناعة الورق والحيوانات التي تصاب به هي الانسان والغنم والمعز والارانب وخنازير الهند والفيران وكذلك الخيل والخنازير، أما الكلاب والقطط فلا تصاب به

الاعراض — لهذا المرض ثلاثة أشكال (١) الشكل الموضعي (٢) الشكل الداخلي الرئوي (٣) الشكل الداخلي المعدي المعوي. وفي كلا الشكلين الاخيرين قد يصاب ظاهر الجسم أيضاً، وإنما نشأت هذه الاشكال المختلفة بحسب مدخل الميكروب فانه قد يدخل من الجلد أو من الرئة في الهواء المستنشق أو من الجهاز الهضمي مع الطعام أو الشراب

أما الشكل الاول فيشاهد كثيراً في الوجه أو العنق أو الايدي بعد جرح أو سحيج (خدش) فبعد زمن التفريح الذي يتراوح بين بضعة أيام وبضع ساعات يحدث أكلان وهيب في المكان الملقح ، ويظهر دمل صغير يمتلئ بسائل رقيق ثم ينفجر وتموت قاعدة هذا الدمل فتكون سوداء اللون ويتلب ما حولها من الجلد فيحمر ويرم ويتصلب ويمتد تورمه الى [بوصة] ونصف أو بوصتين أو أكثر، ويتكون حول البقعة السوداء ققاعات صغيرة تشتمل على مصبل ، وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة وتلتهب . وقد يستمر الشخص في عمله ثلاثة أيام أو خمسة ثم يشعر بالحكة مع الضعف والانحلال . وقد يعتريه الهذيان أو العرق الغزير أو الاسهال وينتهي أمره بالموت الذي يسبقه همود شديد

أما الشكل الداخلي فتختلف أعراضه باختلاف الجهاز المصاب ، ويتقدمه اضطراب وضيق تنفس واضع، حلال وآلام في الاطراف ، ثم ترتفع الحرارة فجأة مع أعراضها المعروفة . فان كانت الرئتان مصابتين أصابه ضيق شديد في التنفس مع

[التار: ج ٥ م ١٩] معالجة الجرة والوقاية منها . السقاوة والسراجة ٢٩٣

احساس بالاخفاق، ويزرق جسمه ، وتخور قواه ، ولكن يكون السعال خفيفا ، واذا بصق فقد يكون البصاق ملوثا بالدم ، ثم يعتريه الهذيان والغيبوية فيموت . وفي بعض الحالات قد يبقى ادراك المريض الى النهاية . واذا كان الجهاز الهضمي هو المصاب حدث قيء وألم بالبطن واسهال وخرج بالبراز دم وقد يحصل عسر في الازدراد أو نزف من الحلقوم والفم ، وتكون الحمى غير عالية ، ويزرق جسم المريض أيضا ويضيق نفسه ويصاب بالضجر وقد يتخبط كالمصروع قبيل الوفاة

الانذار — هو سيء جدا خصوصا في الاشكال الباطنية

المعالجة — تعالج الجرة الظاهرية باستئصالها كلها وكي موضعها إما بالنار وإما بالادوية الكاوية مثل كلوريد الزنك (الخارصين) أو بالفنيك النقي فتحسن حالة المريض وقد يشفى سريعا

أما الشكل الداخلي فعلاجه قليل الجدوى . ويعالج بالكينين والمنعشات والسوائل المغذية

الوقاية — تكون بالابتعاد عن المصاب وحرق أو تطهير مفرزاته وكل ما لامسه وخصوصا صوف الاغنام وملابس المرضى ، وبقتل الحيوانات المصابة بأيسر الطرق ثم احراق جثثها أو دفنها في مكان عميق مع وضع الجير حولها ومما تجب العناية به ان لا يؤذن للعمال في مصانع الصوف أو الجلود بمس شيء منهما الا بعد تطهيره بالطرق الطبية كأن يطهر الصوف مثلا في أفران البخار وتطهر الجلود بوضعها في بعض المحاليل المطهرة التي لا تضر بها . واعلم ان كلامنا هذا في مس الجلود قبل دبحها فان الدبغ وحده كاف لتطهيرها ويجب على الممرض ومن شاكلة تطهير يديه جيدا قبل الطعام والشراب وتغيير الملابس قبل ذهابه الى منزله أو مخالطته الاصحاء

السقاوة والسراجة Glanders

مرض عرف قديما حتى وصفه أطباء اليونان والرومان في كتبهم وهو يصيب الخيل والبغال والحمير وبعض الحيوانات الاخرى الداجنة ومنها ينتقل الى الانسان

أيضا . وسببه ميكروب مستقيم الشكل اكتشف سنة ١٨٨٢ م يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره، وطوله يختلف من ميكرومين الى خمسة وهذا الداء قلما يصيب الانسان وأكثر من يصاب به خدمة الخيل أو الاصطبلات . وكيفية العدوى به أن يفتح أي جزء من جلد الانسان بميكروب هذا الداء في أثناء تنظيف الخيل المصابة أو كشط جلود الموتى منها، وقد يصاب الشخص بسبب عض حيوان له وتلقيحه بلعابه ، أو يصاب بسبب عطاس الحيوان في وجهه فيدخل جزء من مخاط أنفه في عين الانسان أو أنفه أو فمه . وقيل إنه ينتقل أيضا بأكل اللحوم النيئة من الحيوانات المصابة . ومن الجائز أن ينتقل هذا الداء من شخص الى آخر

الأعراض — لهذا الداء شكلان : —

(الشكل الاول) الحاد وهو المسمى بالعربية السقاوة . يتبدى ظهور أعراضه بتوعك وصداع وغثيان وآلام في الاطراف حتى قد يظن أن الداء هو الرثية [الرومازم] أو الحمى التيفودية وقد يوجد ألم بالجنب وضيق في التنفس . وإذا كان الميكروب دخل من الجلد التهاب مدخله وورم وصار مؤلما حتى يشبه الجلد مرض الجفرة ثم يتقرح وتضخم الغدد اللمفاوية القربية، وبعد اسبوع أو أكثر يظهر طفح من دمامل صغيرة حمراء تعلوها قشاعات ، وهذه تكبر حتى تصبح نفاخات كبيرة أو بثور مختلفة الحجم يسيل منها دم ومدة وصديد، وتلتهب قاعدة هذه البثور وما حولها ثم تسقط قشورها فيتكون منها قروح . وقد تكون عقد تحت الجلد تستحيل الى خراجات غالبا . وكثيرا ما تظهر هذه العقد أيضا في العضلات

وقد يصيب الداء أيضا الأغشية المخاطية وتكون أعراضه سيلان مخاط رقيق في أول الامر ثم يغلظ وتصعبه المدة أو الدم وتكون رائحته متنة ، ويكون في الأغشية أيضا عقد تنقرح حتى تنقب بعض الاجزاء أو تأكل بعض العظام الرقيقة كما يحصل في داخل الانف . وقد تصاب أيضا المتحمة أو الخنجرة أو أغشية الشعب وغير ذلك . وتكون حرارة المريض عالية جدا مصحوبة بأعراض الحمى المعتادة ، ولكن ارتفاعها قد يتذبذب، ويفرز زلال في البول ويصاب المريض بالهذيان

والارتعاش فالغيبوبة فالموت . ومدة الداء من أسبوعين الى ثلاثة
ويكثر وجود باسيل المرض في العقد المذكورة وفي القروح وما يسيل منها ،
فأعظم الخطر منها في العدوى

(أما الشكل الثاني) فهو المزمّن ويسمى بالسراجة وتكون أعراضه قاصرة على
الاصابات الموضعية على الأكثر كأن تظهر قروح أوخراجات حول المفاصل أو تلتهب
مواضع مختلفة تحت الجلد أو في العضلات ، وإذا حدثت بثور كان تكونها بطيئاً وقد
تصاب أخشية الانف المخاطية . وفي بعض الحالات ينحف المريض ويبح صوته
ويصيبه السعال أو النزف الرئوي . ومدة هذا الشكل المزمّن قد تكون أربعة أشهر
الانذار — غير حميد . وفي الاحوال الحادة لا ينجو الا القليل ، ويشفى نحو
نصف الحالات المزمّنة

المعالجة — لا يوجد لهذا الداء دواء مقطوع بنجاحه وإنما تعالج الاعراض

كالمعتاد

الرثية السيلانية أو الروماتزم السيلاني

سبق الكلام على مرض السيلان في الجزء الاول وإنما نريد أن نصف هنا
ميكروبه واعراض اصابته للمفاصل

أما ميكروبه فهو من الشكل البزري ويسمى بالافرنجية [Gonococcus]
ومعناها حرفياً في اليونانية [بزور المتني] فهي من الاسماء التي أخطأوا في أصل وضعها .
يوجد هذا الميكروب كثيراً في افراز الاحليل اذا كان الشخص مصاباً بالسيلان
ويشاهد على الأكثر داخل الكريات الصديدية البيضاء وهو من الميكروبات التي
يتعسر زرعها في الخارج ، ويعيش بوجود الهواء أو بغيره ، وفي البيئة القلوية قليلاً أو
الحمضية ولكنه لا يعيش خارج الانسان الا ببعض الوسائل الصناعية العلمية الدقيقة .
ولا يصيب هذا الداء غير الانسان . ويشاهد ميكروبه في افراز الاحليل والفرج
وتقل مشاهدته في إفراز الرحم ويندرأ ولا يشاهد مطلقاً وجوده في افراز المهبل . أما في
الذكر فيوجد أولاً في إحليله وقد يمتد منه الى الخصيتين أو المثانة أو الغدد الاربعية

(فينشأ منه الخبرجل) وفي بعض الحالات قد يصل الميكروب في الذكر والانثى الى الاعضاء الباطنية كالمبيضين أو البليورا أو البريتون أو الغشاء المبطن للقلب أو الاغشية الزلالية المبطنة للمفاصل وغير ذلك كثير واصابة المفاصل هي المقصودة بالكلام هنا

تبدأ هذه الاصابة بعد ١٤ يوما أو ٣ أو ٤ أسابيع من مبدأ ظهور سيلان الاحليل حينما يكون هذا السيلان قيحا أو حينما يكون صديدا (رقيقا) وهو الاكثر أي في زمن [النقطة العسكرية] (١)

الاعراض — في الحالات الحادة تصاب عدة مفاصل في أول الامر بالألم والورم، وبعد قليل يقتصر المرض على مفصل واحد وهو المرفق في الغالب وقد يكون الركبة أو الرسغ أو غير ذلك . ويمتد احمرار المفصل الى مسافة بعيدة وترم المفسوجات في تلك المسافة كلها حتى قد يظن أن بها خراجا . ويتألم المريض ألما شديدا عند أقل حركة ولكن تكون الحمى غير شديدة . ويزول الالتهاب بالتدريج البطيء جدا ويترك وراءه يبسا في المفصل . وقل أن يتقيح . ومن النادر أن تصاب أغشية القلب . وهذا الداء يصيب الذكور والاناث على حد سواء

وهناك اصابات بهذا المرض أخف مما ذكر فيكون احمرار المفاصل فيها أقل وكذلك ورمها، ولكن تصاب عدة مفاصل في وقت واحد خصوصا الركبتين والمرفقين والرسغين وكثيرا ما يكون هناك آلام في الصفاقات وفي الاغشية المغلاة لأوتار العضلات ، وتغلب اصابة صفاق اخمص القدم . وقد تصاب أيضا الملتحمة بالالتهاب وكذلك الصلبة وغيرها . وفي تلك الحالات الخفيفة يكون زوال لالتهاب أيضا تدريجيا وقد تطول مدته الى ثلاثة أسابيع أو أكثر ويخلفه كذلك يفس في المفاصل

وسبب تلك الالتهابات كلها هو وجود ميكروب السيلان في الاعضاء الملتهبة وقد تصاحبه أيضا مبكروبات الصديد وذلك اذا وجدت المدة

(١) اصطلاح يراد به السيلان المزمن كما يحصل لكثير من الجنود وهو عسير الشفاء جدا يكاد يكون متهذرا

حال المسلمين الاجتماعية

ومطامير الأغنياء وسائر الطبقات منها^{*}

وفيه بيان حال مشتركى المنار ومساعديه ورأي الاستاذ الامام والشيخ علي يوسف فيه

٢

قد فصلنا القول في المقالة الاولى في الغرض الاول الذي رمى اليه (م. ن.) في رسالته وهو اعانة جماعة الدعوة والارشاد. واما الغرض الثاني مما رمى اليه وهو مساعدة المنار فقد علم رأينا فيه مما علقناه على رسالته، وهو أننا لا نقبل تبرعه للمجلة ولا تبرع غيره لانفسنا، فمساعدة المنار تنحصر في أمرين أدناها أن يؤدي كل مشترك ماعليه من قيمة الاشتراك في كل سنة، وأعلاهما الدعوة الى الاشتراك فيه واقتناء مجلداته وأداء حقه الذي هو عبارة عن قيمة الاشتراك

وقد وجد أفراداً قاموا بما تيسر لهم من أعلى المساعدة كالنابغة الشهير السيد محمد بن يحيى بن عقيل في سنغافورة، وشهيد العربية السيد الزهراوي الشهير وصديقه الشيخ أحمد نبهان من علماء حمص وفضلائها في بلاد سورية، والكاتب اللوذعي الهادي السبعي في تونس، والفاضل الغيور محمد افندي عمر في القطر المصري. وانما ذكرت الهادي السبعي وقد كان وكيلاً للمنار بالعمولة لأنه من الأفراد الذين يقل نظيرهم في علو الهمة وقوة التأثير، واننا لم نأسف لاضطرارنا الى ترك معاملة أحد أسفنا لاضطرارنا الى ترك معاملته لتأخير المحاسبة والمكاتبه عن أوقاتها زمناً طويلاً على أننا لم نهتد بعده سبيلاً الى تحصيل حقوق المنار من أكثر التونسيين، على ما تفضل به من التبرع بتحصيلها الوجيه الامثل عبد الجليل الزاوش

وأما أدنى المساعدة وهي أداء حق المنار فمن المشتركين السابقون بالوفاء وهم الذين يؤدون الاشتراك في كل عام وأفضلهم الذين يؤدونه في أوائل السنين وإن لم يطالبوا أو يذكروا، ويليهم الذين اذا ذكروا أو طوبوا أدوا، وإن تركوا نسوا أو

(*) تابع لما نشر في الجزء الثاني ص ٨٩

٢٩٨ الناس معادن والعلم والجاه كالصقال لا يغير المعدن [المنار : ج ٥ م ١٩]

تناسوا ، ومنهم الذين يلوون ويمطلون ، ومنهم من لا يخرج الحق من يده الى أمثالنا في حسن التقاضي الا نكدًا ، وقد يكون أبسط الناس لمن يخاف أذاه أو هجومه يدا ، وقد يننا من قبل أحسن أقطار المسلمين وأصنافهم وفاء وأشدها مطالاً وانما التقاضي من مطل الناس أو هضمهم للحق ما هو أوضح برهان على انحطاط أمتنا ، وصف تأثير العلم الديني والديني في نفوس أفرادها ، فلا ينبغي أن يغتر أحد بشهرة أحد في علم ولا فلسفة ، ولا بظهوره في مظهر صلاح ولا عدالة ، بل يجب أن يزن الجميع بميزان النقد ، فالناس — كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم — معادن كعادن الذهب والفضة ، أي والنحاس والحديد والزنك وغير ذلك ، فالظاهر العلمية أو العملية كالصقال قد يجعل النحاس أو الحديد المصقولين أبهج من الذهب أو الفضة غير المصقولين ، ولكنهما اذا تركا زماناً طويلاً يغير صقل علاهما الصداً ، وأفسدهما الطبع ، ولا يضر الحجرين الكريمين ترك صقلهما ، فان صقلا كان مزيد كمال في جاهلها وبهائها . وأنشد الغزالي في الاحياء ألياتافي اختبار مدعي الزهد والتصوف بالمال :

لا يَفْرُتُكَ من المرء قِيسَ رَقْمِهِ
أو إزار فوق عظم الساق منه رفعة
أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

فان شئت مثلاً من عبر المنار ، وما اتفق لنا من منبكات الاختبار ، فأعظم الامثال التي يجب أن تضرب في هذا المجال رجل من الاغنياء العلماء الشرفاء ، يشرح الكتب الشهيرة ، ويتحلى بالحجارة الكريمة ، ويركب المركبات الفاخرة ، تجرها الخيول المطهمة ، ثم هو يلوي ويسوف في اشتراك المنار عدة سنين ، ثم يقول لو كيل التحصيل بعد المثل الطويل ، إنه لا يدفع قيمة الاشتراك لانه عالم من علماء الدين ! فيالله العجب هل يوجد خزني أخزي من وصف العلم أو الدين بأنه يقتضي هضم حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل ، أليس الجهل أفضل من مثل هذا العلم ؟ بلى وأستغفر الله من الزيادة على ما قلت

هذا وان صنف العلماء المصممين في مصر قلما يشترك أحد منهم في جريدة أو مجلة

[المنار: ج ٥ م ١٩] علماء الدنيا وعلماء الدين أيهم خير وفاء ٢٩٩

أو جمعية خيرية، ويقل فيمن يشترك في صحيفة لغرض ما ان لا يسعى في السماح له بنصف قيمة الاشتراك أو ما دون النصف، كأنهم يرون أن الصحف يجب أن تهدي اليهم، وإن لم يفيدوا أصحابها بعلمهم ولا بجواهرهم، ان كان لهم علم ينفع، أوجاه يشفع، ولكن يقل فيهم أيضا من يأكل حقا ثابتا عليه لا أحد ومن أغرب ما وقع لنا معهم أن واحدا منهم كان قد أعجبنا حياؤه وتدينه، فساعدناه في مصلحة من مصالحه مساعدة ذات شأن عنده، فعرض علينا جزاءها أو مكافأة عليها عدة جنبيات، فقلنا اننا لا نأخذ أجرا على المساعدة فاشترى بها مجلدات من المنار، ثم انه تأخر عليه اشتراك عدة سنوات فلما طوبى بها في هذا العام قال إنه كان دفع الاشتراك عنها سلفا في تاريخ كذا، فقليل له ان مادفعته يومئذ انما كان ثمن المجلدات السابقة فقال — وبالله العجب مما قال — بل كانت تلك المجلدات هدية من صاحب المنار!! فان كان قد قال هذا القول معتقدا صحته فهل تفكر في السبب الذي حمل صاحب المنار على مساعدته مساعدة تستحق المكافأة وعلى ترك أخذ ما عرضه عليه منها ثم على اهدائه عدة مجلدات من المنار؟ لعله يتفكر فيعلم ان لاسبب يقتضي ذلك ثم ينصف من نفسه!! على اننا مع العلم بهذا الشذوذ من هذا العالم الحي، وذلك المؤلف الغني، نقول ان علماء الدين أمثل من علماء الدنيا وفاء، وأسهل قضاء:

ذكرت في بعض مجلدات المنار السابقة أن علماء الحقوق من القضاة والمحامين أحسن وفاء من غيرهم، وان اقل المتعلمين وفاء كتبة الدواوين، وكمن كاتب صغير، خير من قاض أو محام كبير، وانما الناس معادن، يتفاضلون بالاخلاق لا بالعلم ولا بالمناصب، أضرب لذلك مثلا قاضيا اشتهر بدقة الفهم، واستقلال الرأي، وحسن الذوق، وانتظام الفكر، وفصاحة القول، وسلاسة الانشاء، والجمع فيه بين إقناع الفلسفة وتأثير الخيال، حتى صار يعده المديون من رجال الاصلاح، وكان مع هذا كله يمنع ما عليه من حقوق الافراد والجمعيات عامدا متعمدا: طلب الاشتراك في المنار بلسانه، ومات وعليه اشتراك عدة سنين اعياء وكيل المنار تحصيلها منه، وكان مشتركا في الجمعية الخيرية ومن كبار أعضائها فأمر الاستاذ الإمام رئيس الجمعية بمحو

٣٠٠ رياض باشا وحسن باشا عاصم والاستاذ الامام [المنار : ج ٥ م ١٩]

اسمه من دفاترها بعد امتناعه من دفع قيمة الاشتراك عدة سنين .
وان لنا الآن عند بعض القضاة والمحامين اشتراك عدة سنين يؤس جاني المنار
منهم ، وطلب من الادارة قطع المنار عنهم ، وقد ساءني ذلك لان منهم من أجل
نبوغه ومروءته ، وأتمس له عفرا فيما شكوا الجاني منه ، ويعز علي ان يحشر في زمرة
الماطلين ، أو يدون في سجل الهاضمين ،

وأما الماطلون من الاغنياء الذين لم يصقلهم العلم الديني ولا الدنيوي فهم كثيرون
ومطلهم خشن مشوه . مثاله قول غني من الفيوم عليه اشتراك بفضة عشر سنة لجاني
المنار في القاهرة : انني ابتليت بمصائب تمنني من المطالمة منها موت امرأتي ، ومجموعات
سني المنار محفوظة عندي في الفيوم فاعطني أجرة البريد لاحتضرها لك !!

ولا يسعني السكوت في هذا المقام عن كلمة ثناء على فضل من أنبت أرض في
مصر في هذا العصر ، بل على من يندر وجود مثلهم في اي مصر واي عصر ، وهم
الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والوزير الكبير مصطفى رياض باشا والنايفة الهمام
حسن باشا عاصم ، فأما الوزير فقد بينت في فاتحة المجلد الخامس عشر انه كان أول
من أراد التبوع للمنار فاشترك بعشر نسخ توزع على الفقراء ثم جعلها خمس عشرة نسخة ،
وقد أقرها بعده ولده محمود باشا سنة ثم قطعها ، وفضل رياض باشا على الاهرام والمؤيد
والمقتطف والمقطم مما يعرفه جمهور الادباء ، وأما حسن باشا عاصم فقد كان على وقف
حياته على خدمة الامة احسن الناس وفاء ، حتى انه كان يتحرى أن يكون أول من
يدفع الاشتراك للجمعية الخيرية في كل عام على أنه أكثر أعضائها خدمة لها ، وكان
يدفع اشتراك جميع الجرائد في أول كل عام أيضا وكان يجيء في ادارة المنار في
بعض السنين حاملا الدراهم بيده

وأما الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان أحرص الناس على مساعدة المنار
بكل ما تصل اليه طاقته ، وكان كثير من الناس بظن في مساعدته له الظنون البعيدة حتى
ان منهم من كان بظن أنه هو الذي يكتب ويحرر أكثر ما ينشر فيه ، وقد علمنا هذا مما
كاشفنا به بمض القراء حين كتبنا في المجلد الرابع ان كل ما ينشر في المنار غير
معزو إلى أحد فهو لمنشئه ، ومن الناس من لم يرجع عن هذا الظن الا بعد وفاة الاستاذ

[المنار: ج ١٩٥] رأي الاستاذ الامام في الجرائد المصرية وفي المنار ومساعدته له (٣٠١)

بعد كتابة ما تقدم نظرت في مذكراتي التي كتبتها قبل انشاء المنار فاذا فيها اتني جئته على موعد في مساء اليوم السادس من شمعان سنة ١٣١٥ فعلمت منه ان سليم افندي الانسي أخبره بأن بعض الناس جاؤا من طرابلس الشام لانشاء جريدة . وأنه أجابه بقوله : هل علموا ان الجرائد هنا قليلة ؟ وكتبت يومئذ في ذلك ما يأتي :

« فعند ذلك كاشفته بعزمي وأخبرته انه جاءني خبر من طرابلس بأن والي بيروت بلغه اني جئت مصر لانشي جريدة أطمع فيها بوكلاء (وزراء) الدولة . وقلت له : المقصد أعلى من الكلام في الشخصيات وان وكلاء الدولة مدحوا كثيرا وذموا كثيرا فاذا كان من نتيجة المدح والذم ؟

« فشرح لي الاستاذ حالة الجرائد في مصر (كما فهمته واختبرته) وقال ان المصريين أقامتهم الظروف في حالة جعلت أفكارهم موجهة الى شيء واحد من الجرائد وهو أخبار الحكومة المحلية وماذا يقال عن الخديو وعن الانكليز ولا يلتفتون الى ما وراء هذا . وهذا الامر قد قامت به ثلاث جرائد المقطم والمؤيد والاهرام ...^(١) واذا كتبت في المواضيع الادبية كالتربية والتعليم أو آداب اللغة لا يلتفت الى كلامك الناس فاني لا أعرف أحدا في مصر من طلبة الأزهر أو المدارس مشتغلا باللغة وآدابها الا ان يكون في الزوايا من لم يعرف . نعم ان هذا الامر مهم ومفيد لكنه لا يأتي منه ما يكفي لنفقاته ولا ينبغي التعب وانفاق المال هكذا ...

(وفيها اتني ذكرت له هنا ما ذكره لي صاحب الهلال من كثرة مشتركيه وأنه ارتاب في ذلك وقال ان المشتركين الذين يدفعون الدراهم قليلون وما كل من يكتب اسمه في دفاتر أصحاب الصحف كذلك . ثم كتبت ما نصه) :

« ثم انتقلنا الى موضوع الامة ومرضاها وان أنفع الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ونشر الأفكار الصحيحة » فقلت هذا ما حدا بي لانشاء الجريدة ، واني أسمح ان انفق عليها سنة وستين من غير ان أكسب شيئا ... فقال ان كان هكذا

(١) هذا نص ما في المذكرة بحروفه ونقطه وأتذكر انه ذكر لي مشرب هذه الجرائد فأشرت اليه بالنقط لانه لا ينسى

فهو حسن ، وهذا أشرف الاعمال وأفضلها ، وأنا اذا كنت على ثقة من مشرب الجريدة فاني أساعدها بكل جهدي » اهـ

ولما كتبت فاتحة العدد الاول أعجبه ما بينته فيها من خطة المنار ومقاصده ولم ينتقد منها الا كلمة واحدة في حقوق « الامة على الامام » قال إن المسلمين ليس لهم الآن إمام انما امامهم القرآن. فتركت تلك الكلمة لاجله. ولم أطلع على شيء قبل طبعه مما لا يتعلق بشخصه والحكاية عنه الا تلك الفاتحة. ثم كانت تزداد ثقته بالمنار وصاحبه (ولا محل لشرح ذلك هنا) ولكنه لهزة نفسه ومحافظته على قيمة كلامه كان يكتفي من الترغيب في المنار غالبا بمدحه، والشهادة بفائدته ونفعه، دون التصريح بالدعوة الى الاشتراك فيه ، وقلما كان ذلك يجدي لبعد أكثر الناس الموسعين عن الاهتمام بأمر الاصلاح الديني والاجتماعي، قد اشترك في المنار عند ظهوره الافراد من أصدقائه ومريديه بترغيبه، واشترك المئات من غيرهم بغير ترغيب من احد ولم يكن في ذلك غناء ، وما زاد دخل المنار على نفقاته الا في السنة الخامسة، وقد كان لمقالاته (الاسلام والنصرانية) تأثير في ذلك . ولم أعلم أن عشرات من المشتركين طلبوا الاشتراك بتأثير ثنائه عليه الا في تلك السنة وكان هؤلاء المشتركون من مديرية الدقهلية وما جاورها، سمعوا منه ذلك الترغيب في بلادهم أيام كان فيها يوزع الاعانات على الذين نكبوا بالحريق ، ولا أتذكر انني طلبت منه المساعدة تصرّحاً ولا تلميحاً الا في أوائل تلك الايام ، فاني كتبت اليه كتابا أشرت فيه الى الشكوى من قلة الاقبال على المنار - وكان في المنصورة - فكتب الي كتابا قال فيه هذه الكلمة التي كانت أحب الي من كل ما تجدد من طلب الاشتراك ، لانها بينت رأيه في المنار كتابة وهي :

«الناس في عماية عن النافع وفي انكباب على الضار، فلا تعجب اذا لم يسرعوا بالاشتراك

في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل

وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا، والفقراء

لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل »

[المنار : ج ٥ م ١٩] حظ المنار من أصدقاء الاستاذ وأعدائه ٣٠٣

وأذكر أيضا أن وجيها من أسرة كبيرة غنية في بعض المديريات كان يعد من حزب الاستاذ طلب مني بحضورته ارسال المنار الى بضعة عشر مشتركا من أقاربه وأصحابه على انه هو الكافل لهم ، والملتزم لتحصيل قيمة الاشتراك منهم ، فأرسلناه اليهم ، وبقي عدة سنين لا يدفع عن نفسه ولا عن أحد منهم شيئا حتى في حياة الاستاذ ، ثم بعد تكرار المطالبة وصل الينا منه ومن غيره اشتراك بعض السنين من بعضهم ، ويثسنا من الآخرين فمحونا أسماءهم .

وأما أصحاب النفوذ والوجاهة من أصدقائه — الذين كانوا أقدر منه على نشر المنار لو أرادوا لتصريحهم بما لا يصرح هو بمثله — فلم أعلم لأحد منهم مساعدة تذكر الا ان مصطفى بك الباجوري رحمه الله تعالى طلب المنار لجماعة في طنطا أكثرهم من أصدقائه المحامين . على أن كثيرا من جماعة الاستاذ ما كانوا يدفعون قيمة الاشتراك ولا كنا نحن نطالبهم بها لاجله ، وهو لم يأمر بارساله الى أحد بغير ثمن الا الى اثنين من أصدقائه (أحدهما) شيخ صوفي صالح مشهور في الوجه القبلي (وثانيهما) قاض شرعي من اخوانه مريدي السيد جمال الدين في الوجه البحري ، (رحمهم الله أجمعين)

وجملة القول ان الاستاذ قدس الله روحه صرح لي بما حقيقته انه لم يعمل للمنار ما يجب عمله له ، بل قال لي مرة أو أكثر من مرة : انني لم أعمل له شيئا . أي ما يعده هو شيئا يذكر . ولا سيما بعد ما رأى من مقاومة أعدائه له ، وعدم قيام أصدقائه بما كان يجب من مساعدته ، على ما رأوا من شدة ميله ورغبته ، وقد كان هو يقوم بموافاة رغائبهم وقضاء حوائجهم بمجرد الشعور بها ، ولا ينتظر منهم إلحاحا ولا تصريرا بطلبها ، وكان يجب ان يكون كل فرد منهم أولى بذلك منه ، لا لأن له الفضل عليهم ، والمقام الاعلى فيهم ، بل لانه أشدهم حياء وأرقهم شعورا . فلا ينبغي لمن عرف طباعه وأخلاقه العالية ان يكلفه ما لا يليق بها ، كالتصريح بطلب الشيء بلسان المقال ، مع العلم به من دلالة الحال ، على انه هو لم يكن يكلف صديقه مثل ذلك وان كان ذلك الصديق لا يستحي منه ، ولا يثقل مثله على طباعه وأخلاقه .

من أجل هذا كانت مقاومة أعداء الاستاذ للمنار أعظم من مساعدته له ، وإنما

٣٠٤ رأي الشيخ علي يوسف في المنار [المنار: ج ٥ ص ١٩٠]

كانوا يقاومونه لتتويجه به ، واذاعته لعلهم وفضله ، وانني أذكر في هذا المقام كلاما للشيخ علي يوسف صاحب المؤيد عفا الله عنه فيه عبرة لصاحب الرسالة التي أوجبت كتابتنا لهذا المقال ، ولنخبره ممن يعتبرون بوقائع الاحوال ،

قال لي الشيخ علي يوسف مرة: إنك أنت رجل غير عادي فلقد أوتيت من العلم والبصيرة ومعرفة حكم الدين واسرارها وما يحتاج اليه المسلمون من الاصلاح في هذا العصر ومن حسن البيان ما جعل بجانبك من الحاجات الضرورية التي لا غنى للمسلمين عنها اذا أرادوا أن يرقوا في هذه الدنيا مع المحافظة على دينهم، وكان يجب أن يوجد المنار في كل بيت من بيوت المسلمين ، ومصر مستعدة لرواج هذه الافكار فيها، وانت هنا غريب ليس لك اعداء ولا حساد إذ لا يدرك احد فينا مزاجا له في جاهه وصيته. الا انك التزمت في المنار اطراء الشيخ محمد عبده والتتويه به، وهو اهل لذلك الا انه غير محتاج اليه اذ لا يزيد في قدره عنداء في فضله الكثيرين ولا يقطع غيرهم من مبنضيه ، وان للشيخ اعداء كثيرين لهم نفوذ في البلاد، وانت بهذا التتويه به تجعلهم خصوما للمنار يقاومونه وينفرون الناس منه، واكثر من يسمع ذلك منهم يأخذ به بالقبول، فخير لك أن تترك هذه الخطة وتسلك في ذكر الشيخ طريق المؤيد بأن تعبر عنه اذ لم اقتضت الحال ذكره بأحسن ما يقرن بأسماء كبار العلماء وهو لقب « فضيلة الاستاذ فلان - أو بزيادة - الملامة فلان » فهذا تأمن كيد أعداء الشيخ لك المنفي الى حرمان أكثر المسلمين بمصر من الاستفادة من المنار

فقلت له انني أعلم قدر ما في هذا الكلام من النصيحة وانني قد علمت بالاختبار ان أعداء الشيخ يصدون عن المنار وقلما يوجد من يعارضهم في ذلك . ولكن المنار أنشئ للاصلاح لا للتجارة، ودعوة الاصلاح لا يرجي ان تنجح وتبقى الا اذا كان للاصلاح زعيم يرجع اليه ويعول عليه ، ولا أعرف أحدا في المسلمين اهلا لهذه الزعامة بعلمه وبصيرته واخلاصه وأخلاقه الا هذا الرجل، فأنا أقصد بالتتويه به ترشيحه لزعامة الاصلاح في العالم الاسلامي كله لا في مصر فقط . وهذا الترضي ركن من أركان الاصلاح يرجح على ككرة قراء المنار في القطر المصري. فقال اذا كان الامر كذلك فأنت أدري بشأنك

هذا — وإن هذا القول من الشيخ علي يوسف قد كان قبل اشتداد غضب الأمير علي الأستاذ الامام وازهاره للناس وما ترتب على ذلك من التقاطع الأخير بين الأستاذ والشيخ علي ، ومن سعي كثير من كبار المقربين للأمير للتفريق بيني وبين الأستاذ رحمه الله تعالى ، إذ كان ممن كلفه في ذلك الوزير الشهير بطرس باشا غالي ، ومن كلمني فيه تقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الشيخ توفيق البكري . ولا حاجة الى شرح ذلك في هذا المقال

لن صاحب الرسالة (م . ن) يعلم ما لا يعلمه الا الاقلون من تاريخ المنار وما لقي من المقاومة وكونها على قوتها لم تكن مانسة من انتشاره واحترام كبراء الامة — حتى خصومه — له ولنشئه ، وأنه على كثرة ما كان ينتقد العلماء ويلقي عليهم من تبعة فساد دين الامة ودنياها لم يتصد أحد منهم للرد عليه مع دعوته اياهم الى انتقاد ما يرونه منتقدا فيه على رأس كل عام ، ويعلم أيضا أن مقاومة الامراء والكبراء من العلماء وزعماء الحزب الوطني وغيرهم لم تكن صادرة من دونهم في الجاه كمحمد افندي عمر من الدعوة الى الاشتراك في المنار ومن استجابة كثير من الناس له ، ذلك بأن الحرية الشخصية قد رسخت في البلاد ، حتى صارت مستعدة لقبول كل دعوة وانتشارها بقدر من يقنع بفائدتها من الافراد . ولكن الدعوة لا تنجح بنشر مقالة أو مقالات معدودة ، بل بشرط لنجاحها أن يكون لها دعاة دائبون ، وتأثير القول فيها أكبر من تأثير الكتابة ، ولا بد من المواظبة والتكرار ، كما علم من سنن الله تعالى في كل دعوة الى إصلاح أو إفساد ، فهذا هو سبب حكمنا على رسالته بأنها لا تقضي الى نيل المرادة فالاقوال والافعال العارضة الموقته ضعيفة التأثير في الامور العامة ، وإنما الممدة فيها على الدعوة الدائمة ، فقد أيد المنار أقوى من أنبت هذه الديار حجة وتأثيرا روحيا ولم يكن نجاحه بتأييده وتنشيطه ، وخذله وثبط عنه أعظم من فيها نفوذا ولم ينجب بخذله وتنشيطه ، وقد زالت ولله الحمد تلك المناهضة فلا يخشى ان يلقي الداعي بعدا ذى ولا معارضة ثم يعلم صاحب تلك الرسالة ان المنار ثابت بفضل الله تعالى وان انقطع عنه منذ بدأت الحرب الاوربية كل مدد كان يأتيه من البلاد العثمانية والروسية ومن الغرب الاسلامي ، وكذا من المشرق والجنوب الا قليلا ، — وان همت ادارته أيضا (المنار : ج ٥) (٣٩) (المجلد التاسع عشر)

٣٠٦ قيام كل مشروع بالدعوة اليه من طريقها [المنار : ج ٥ م ١٩]

أسماء ممثات من مشركي القطر المصري ؛ بعضهم بحق وبعضهم بغير حق بل بشهادة غير عادلة من الجبابة . — وكان هذا في فترة بضع سنين لم أنظر فيها شيئا من أمر الادارة وقد قضيت كثيرا منها في الاسفار — وان المتأخر من مال الاشتراك على الثابتين من المشتركين يزيد على ألف جنيه مصري . واني لا أعترف بأن جل التبعة في ذلك على تقصير الادارة وتركها مطالبة الكثيرين منهم لا على من طولبوا فللوا ومطلوا ، وانا نلجوا ان توفق ادارتنا فيما شرعت فيه من الاصلاح الى اقتضاء حقوقنا بالحسن ، فقلما يوجد في مشركي المنار من يستحل أكل ماله بالباطل وهضم حقه بغير عذر ، ولكن يثقل على بعض من عليهم اشتراك عدة سنين ان يؤدوها دفعة واحدة ، ولا يضرننا تأديتها أقساطا متعددة ، وإن منهم أفرادا يطعمون بأن تترك لهم شيئا مما عليهم برضا منا ، ومن هؤلاء من يتوسل الى ذلك بأن بعض الاجزاء لم يصل اليهم ، وحمجنا انه كان ينبغي لهم ان يطلبوها في وقتها واذا ارسلت اليهم بغير ثمن حسب الشرط ، وانا نعلم بالاختبار ان كثيرا من المشتركين تفضل عندهم الاجزاء أو يأخذها بعض أصدقائهم من مكاتبهم أو بيوتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ، أو تضيع باتتقاهم من مكان أو بلد الى غيره ، ثم يتوهمون انها لم تصل اليهم البتة وقد عزمنا على ان نبذل جهدنا في حسن الاقتضاء ، راجين من الاكثرين حسن القضاء ، وعلى ان نكتب بعد ذلك ما نرى فيه الفائدة من الاختبار ، ومنه التصريح بأسماء المحسنين والمسيئين في القضاء ، ليكونوا عبرة للمعتبر بحال المسلمين ، ونؤكد البشارة لآخينا (م. ن) الداعي الى مساعدة المنار خوفا من سقوطه بما أحدثته الحرب من العسرة ان ما على خيار المشتركين في القطر المصري وحده يزيد على ما يحتاج اليه من النفقات فلا يضره انقطاع المدد عنه من الخارج ، فاذا كان يجب زيادة انتشاره لاجل تعميم فائدته فالطريق الى ذلك هي الدعوة الى منهجه الاصلاحى ، ولكل دعوة أهل ، ولكل مجتهد نصيب ، ودعوة الاصلاح بالحق أحق أن تستجاب ، ولا سيما اذا روعيت فيها الحكمة وفصل الخطاب ، (أفن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يهدي ؟ فالكيف نحكمون !)

رحلة الحجاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله تعالى أن وفقني في هذا العام لتلبية دعوة أئينا إبراهيم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، بأداء فريضة الحج ، وإكمال المناسك بالمعج والثج ، ثم أحده عودا على بدء أن وفقني للوفاء لوالدي بالحج معها . بعد أن حالت دونه الاقدار بالاعذار تارة من قبلي وتارة من قبلها ، بل أحده قبل ذلك كله أن ~~هخر~~ من سخر من الدول لازالة ما أحدثته الحرب الاوربية العامة من موانع السفر بالبحار الى الحجاز ، ولتكاليف إعداد السفن لحمل الحجاج ، بعد أن وفق الشريف أمير مكة للقيام بأمر استقلال العرب في تلك الاقطار، ولمعاهدة تلك الدول المتصرفه في جميع البحار ، فسبحان من سخر من شاء لما شاء بتوفيق أقدار لأقدار، وأظهر حجته على الخلق في كل عصر من الاعصار، من آيات يزداد بها إيمان المؤمنين، ويحقق بها القول على الجاحدين ، — والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، الامي الذي أرسل لتعليم الاميين والكتابين ، العربي المبعوث لتوحيد الامم باللغة والدين، وعلى آله وأصحابه الكرام ، الذين أخذوا عنه المناسك وأحيوا شعائر الاسلام

أما بعد فإن ركوب الالوف من المسلمين لمتون البحار ، وجذبهم من أقصى المغرب والمشرق لأداء فريضة الحج في هذا العام ، يصح ان يعد من تأييد الله تعالى للاسلام ومن المعجزات الدائمة لخليطه ابراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ومصدق الحديث «ان الله سيؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله» وقد ورد بلفظ آخر صرحوا بصحة سنده . أوليس خذلانه — جلت قدرته — لحكومة الاتحاديين الملحدين ، بما أقدموا عليه من التنكيل بالعرب وانتهاك حرمت الدين ، وتوفيقه — عمت رحمته — لأمر مكة ومن معه من المسلمين، بالخروج على البغاة المارقين ، وتسخيره — بهرت حكمته — لدولتي الفرنسييس والبريطانيين الكتائبين ، بحمل الحجاج من الغرب والشرق الى البلد

٣٠٨ كون الحج تلبية لدعوة ابراهيم وماكان من الموانع دونه [المنارة: ج ٥ م ١٩]

الامين = أليس هذا كله أقدارا تتابعت ، وأسرارا تشايعت ، فانبجست عن استجابته سبحانه وتعالى لدعوة ابراهيم خليله ، وإحياء شريعة محمد عبده ورسوله ، بعد ما كاد يظن ان أسباب الحرب الظاهرة ، حالت دون تلك الدعوة الطاهرة ، (١٤ : ٢٩ ربنا إني أسكنت من ذُرِّيْتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) بلى وانها لتؤيد ما روي عن ابن عباس ، من تلبية الناس لتلك الدعوة في عالم الارواح ، اذ قام عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من بناء البيت العتيق ، بمثلا قول الله له (٢٢ : ٢٥ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍ عميق ٢٦ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ٢٧ ثم ليقتضوا أنفسهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) * فقد روي عنه ما معناه أن الله تعالى أمره أن ينادي بذلك وقال له عليك النداء وعلي البلاغ . وأنه قام في مقامه (المعروف الى الآن بمقام ابراهيم) وقيل في الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس فنادى يا أيها الناس ان الله قد اتخذ بيتا فحجوه — فاجابه كل من كتب الله له الحج الى يوم القيامة قائلين « لبيك اللهم لبيك » فان لم تكن هذه الاجابة حقيقية في عالم الارواح ، ولا عبارة عن الاجابة بالقوة ولسان الاستعداد ، فهي تمثيل لما تظهره مجاري الاقدار ، من وراء حجب الاستقبال ، فتشاهده الاجيال في كل حول من الاحوال لقد كان النزوع الى حج بيت الله الحرام ، هوى ساكننا في القلب يحرکه الموسم في كل عام ، ويحول موانع الاقدار دون جذبه البدن الى تلك المشاعر العظام ،

(٥) التأذين والاذان بالشيء النداء للاعلام به . والرجال جمع راجل وهم المشاة ، والمضي يأتوك مشاة وركبانا على كل ضامر من الابل وغيرها وهو المهزول من طول السفر ، وبأتين صفة لكل ضامر . والفج الطريق والمسلك المنفرج بين الجبال ونحوها ، والعميق البعيد الغور أو المدى ، والايام المعلومات يوم النحر وأيام التمرير بسده ، وكذا يوم عرفة في قول ، والامر بالاكل من لحوم ذبائح الهدى التي تذبح بمعنى في تلك الايام — ومثلها الاضاحي في سائر البقاع — للندب عند الجمهور والواجوب عند طائفة . والتفت المناسك ، أو التحلل من الاحرام الذي يزال به الوسخ بالخلق والطيب اذ أصل التفت الوسخ . والمراد بالطواف هنا طواف الافاضة الذي تم به أركان الحج فيتم التحلل منه .



[المنار: ج ٥ م ١٩] أوهاام المصريين في حج هذا العام قبل حصوله ٣٠٩

وأهما ماكان أولا من عدم الامن على النفس من ظلم الحكومة الحميدية ، ثم ما هو شر منه وأنكى من إلحاد الحكومة الاتحادية، ومنها ما كان في بعض السنين من عدم استطاعة السبيل ، أوعجز السيدة الوالدة عن الرحيل

فلما دعت الحكومة المصرية المسلمين في هذا العام الى الحج بالسنة الصحف المنشرة ، والتزمت حمل من يحج الى جدة ذهابا وايابا بأجرة قليلة ، تاركة ما كانت تتقاضاه من كل مريد للحج من التأمين المالي ، وعلمنا أن هذه الدعوة مبنية على تأمين الشريف أمير مكة للبلاذ ، وإزالته كل ما كان هنالك من أسباب العيث والفساد ، — صادفت هذه الدعوة في أنفسنا أتم الاستعداد والاستطاعة ، واتفاء جميع الموانع دون هذه الطاعة ، بل تأكدت داعية الفريضة ، بما يرجى في اثناء أدائها من واجب النصيحة ، التي تقتضي الحال الحاضرة أداءها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فقد علمنا أن طريق الحج ، قد مهد لمسلمي الشرق والغرب ، الذين حالت بيننا وبينهم الحرب ، فلا سبيل للتواصل بيننا وبينهم من الطاق ولا من الباب ، ولا للتناصح بخطاب ولا كتاب ، ونحن الآن أحوج ما كنا الى التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على ما يجب من التقوى والبر ، فهل تتوانى في أداء هذه الواجبات ، وقد ابيحت لنا في أشرف الامكنة وأفضل الاوقات ، إذ تؤدي المناسك في بيت الله ومشاعره العظام منى والمزدلفة وعرفات ؟

نعم ان حكومة هذه البلاد آذنتنا بإباحة الحج في هذا العام ، فذكرتنا بايذنها به أذان أيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فلي القلب داعي الله قبل تلبية اللسان وسعي الاقدام ، : « لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » فلم نكن ممن يشنهم عن هذه التلبية إرجاف المرجفين ، ولا خرص الخراصين ، ولا إفك المذاعين ، الذين أذاعوا في طول البلاد وعرضها ان من يقصدون الحج في هذا الاوان ، يلقون بأيديهم الى التهلكة بما أعد لهم من مدافع الترك وطيارات الالمان ، ولا قولهم إن صاحب المنار مرسل مع وفد العلماء الذين أرسلهم سلطان مصر لمبايعة شريف مكة بالخلافة ، ولا قول بعضهم إنه هو الذي يريد ذلك دون العلماء ولا قول بعضهم بالعكس ، فافغرائض والواجبات لاترك

٣١٠ أوهام المصريين في حج هذا العام قبل حصوله [المنار: ج ٥ م ١٩]

لتقول غوغاء الناس، ولا لاوهم العوام ولا الخواص، وحسبي ان أعلم اني أحج لوجه الله تعالى منقفاً من مالي الذي أعتقد حله وقد ادخرته لذلك في هيمان منفسنين، واني ابتغي زيادة الاجر عند الله تعالى بصحبة والدتي وخدمتها في هذه السبيل، وبما أبغيه من الازدياد من العلم النافع والاختبار والاستفادة من أهل العلم والبصيرة، وبما أنويه من النصيحة لكل من أرى الفائدة في نصحه من اخواني المسلمين في تلك البقاع الطاهرة الشريفة، بما أرى فيه الخير والمصلحة لأمتي في أمري دينها ودنياها، لا أحابي في ذلك شريفاً ولا أميراً، ولا أغش فيه سوقة ولا فقيراً، وانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى. كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم. على ان حبل الكذب - كما تقول العامة - قصير، ولا سيما اذا كان في شيء كالحج موعده قريب، فسفر الحج في هذا العام كان أقل من خمسة أسابيع، فما أسرع ما ظهر كذب تلك الاقاويل

لم يبق أحد في مصر الا وقد علم ان حجاج بلاده قد دخلوا المسجد الحرام بمشيئة الله تعالى آمنين، وأدوا مناسكهم وقضوا تقصيرهم محلقين رؤوسهم ومقصرين، وعادوا الى أوطانهم سالمين مغبوطين، وان الشريف لم يدع أحداً من الحجاج الى مبايعته، ولا يزال الخطباء يدعون للسلطان العثماني في بلاده، وان صاحب المنار لم يكن بينه وبين وفد العلماء السلطاني خلاف في امر المبايعه المخنعة بمصر ولا في غيره، وانه عاد مع والدته الى أهله وولده وموطن عمله كسائر الحاج، اذ لم يذهب مدعوا الى منصب قاضي القضاة ولا مشيخة الاسلام، وها هو ذا يقص خبر رحلته، على جميع من يطالع على مجلته، بما يمهّد قراؤها من صدقه وصراحته، اذ كان - ولا يزال - يشرح ما طرأ من الفساد على الرؤساء والحكام، وما سرى من الضلال والخرافات الى العوام، غير مبال بسخط الخاصة، ولا مهتم باستمالة العامة، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) :

(لها بقية)

باب الشعر والادب

قال محمد توفيق عكي^(١) من قصيدة له في مديحه عليه الصلاة والسلام

هل مر يوم لم يلخ فيه أفقه	شمس تضيئ لنا من القرآن
هل هزت الاجيال دين محمد	فراثة غير مثبت الاركان
هل ينكر الثقلان أن نبينا	كنز العلوم وكعبة العرفان
ومثبت التوحيد في أركانها	بالمعجزات وساطع البرهان
ولربما جعل الحسام نصيره	في ردع أهل الظلم والطغيان
وأعادها نورا وكانت ظلمة	دهماء سابغة على الاكوان
لو أننا متمسكون بدينه	لم يرض منا مؤمن بهوان
ولما هزمنا لو تجمعت المدا	لقتالنا واستظفروا بالجان
لكننا فشت المعاصي بيننا	وتحكمت فينا يد الشيطان
توبوا الى الله الكريم وأصلحوا	أعمالكم خافوا من النيران

وقال في أصحاب السوء

لي أصحاب اذا عاشرتهم	لا تقل ان عثروا يوما كعا ^(٢)
يا كلون السحت فيما بينهم	ليس من جوع ولكن جشعا
يمزجون الخمر بالماء فـلـ	مزجوا أن شربوها أدمعا
قعنبوا عن كل فخر وعلا	وسمى للعار منهم من سعى
وهم والله في أعناقهم	لا يحبون التقى الورعا

(١) هو ضابط (يوز باشي) في الجيش المصري وكان رفيقا لنا في سفر الحج وسياتي ذكره في الرحلة (٢) يقال للعاثر « لعأ لك » دعاء له - أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك . واذا دعي عليه يقال له : لا لعأ لك

كم نهيناهم عن الخمر فلم يجدوا من دونها منتجما
 كم زجرناهم عن الفحش فلم يجدوا في غيره متسما
 انهم قد ظلموا أنفسهم فاصفح اللهم عن رجما
 ﴿وقال في ذم الخمر وضررها﴾

خذوا كأسها عني فما أنا شارب لقد حرم الله المدام وانني
 ولا أنا عن ديني ودنياي راغب الى الله مما تستحلون تائب
 لئن بت جبارا على الارض قاهرا فليست لجبار السماء أحارب
 أشرب سما ناقما في زجاجة نحوم حوالي شاريه المصائب
 لئن شهبوا كاساتها بكواكب فكأنذر تنابا لنحوس الكواكب
 وان عصروها من حدود كواعب فكمن من بلاياجرهن الكواعب
 ﴿وقال في تفضيل الماء على الخمر﴾

اذا طاف بالكأس الدهاق عليكم فما أنا منكم يبرا الله منكم
 لي الماء وحدي لا أبالي بجمعكم رضىتم غضبتم ختم أو وفيتم
 فصفق أباريق المدام وهاتها زلا لا فنفسي أوشكت تتضرم
 قتلك مدامي لا بنات دنائهم وذاك زجاجي لا لزجاج المقدم^(١)
 اذ افرقت في الكاس ألقيت فضة تدفق أو ذوبا من الدر يسجم
 يقطرها الدن الحلال^(٢) كأنما تتابعها عقد من الدر ينظم

(١) الاناء المقدم ما وضع على رأسه القدم وهو يفتح الفاء وكسرهما ليف يصفى به ما يصب منه في الاكواب. يقال قدمه بالتخفيف والتشديد وأقدمه
 (٢) الدن بالفتح وعاء كبير للشراب ووصفه بالحلال باعتبار ما فيه . وتقطير الماء لمساته قطرة بعد قطرة ولعله أراد بالدن المقدم ما توضع عليه المصفاة (الفلتر) واستاد التقطير اليه مجاز



يرن رنين العود في كل قطرة
 وشتان بين الماء والخمر في فم
 فمن شاء أن يلقي جهنم قبل أن
 تجاذب روح الشارين بنشوة
 ومن خاف ناب الافعوان ينوشه^(١)
 يمزق أستار النفوس لعابه
 منسابع أدواء موارد ريبة
 وطاب لأصحابي من الخمر تنتها
 يقولون شرب الخمرات فريضة
 فهل ترى أنا نموت بتركها
 ألم يكفكم وردا كؤوس مزاجها
 وتضييهم عز البلاد وهدمكم
 أقامته أطراف الدوالي وصانه
 اذا مالت الدنيا به قام ركنه
 ألا أبلغوا اهرام مصر توجعي
 وقولوا رمسيس بن سيتي أفق لنا
 كأن قيانا تحته تترنم
 ولكن ذاحل وهذا محرم
 يموت فقي حان المدام جهنم
 تكاد لها أحشاؤهم تنضرم
 فقي كأسها ناب خفي مسمم
 ويأطم ناب الشارين فيهم^(٢)
 تطول بها البلوى ويقذى بها الفم
 وأوهمهم شيطانها فتوهموا
 عاينا فلسنا ان تركناه نهضم
 فقلت لهم موتوا فلا خير فيكم
 من الذل والحرمان صاب وعلم
 بناء حقيقا انه لا يهدم
 قرونا على الدنيا الحديد المثلم
 يناطح روق النجم والدهر مرغم
 وان تك لا ترثي ولا تترحم
 أتركنا في ذا الشقاء وتنعم^(٣)

باب المراسلة والمناظرة

﴿ جمعية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

سيدي الاستاذ محرر « المنار »

لا أرى بداً - اذا سمحت مكارمكم - من نشر كتابي هذا في « المنار »،

(١) الافعوان بالضم ذكر الافاعي وينوشه يتناوله ويأكل منه. استعمله بمعنى ينهشه (٢) يعني أن لعاب الكأس وهو الخمر يفسد الاسنان ويتلفها فعبّر عن ذلك بلطم الناب وهتمة أي كسره (٣) لا ندري من أين علم الناظم أن رمسيس سعيد ناهم

(المجلد التاسع عشر)

(٤٠)

(المنار : ج ٥)

٣١٤ جمعية آداب اللغة العربية [المغار: ج ٥ م ١٩]

ولي من ظاهر عنايتكم بهذا المشروع شفيح بذلك ، ومن تكرار تحريري في المجالات الاخرى عذر في الركون اليكم، فان من الضروريات في جميع الاعمال العامة الكبيرة كسب تضيد مجموع الصحافة لا بصفة وقتية بل بصورة دائمة . فلا بد اذن لقلبي العاثر من تكرار الاعلان عن هذا المشروع ، ومن أمثال فضيلتكم ترجى المؤازرة الادبية الوجيهة فيما يذهب بضرر ويجلب فائدة للشعوب المستضعفة التي تذودون عن كرامتها وتناضلون عن حقوقها .

أغراض المشروع واضحة جليلة وقد سبق لكم نشرها في « دعوة اللجنة التحضيرية » ، وكلها تدور حول نقطة جوهرية وهي خدمة اللغة العربية بجميع الوسائل الممكنة ، وتحت هذا تنطوي عدة مسائل أدبية اجتماعية وقومية حيوية لا يخطئ في تقريرها المفكر البصير .

يتساءل بعض النقاد: لماذا أشر كنا معنا - نحن العرب - المستشرقين في عمل كهذا جدير بنا أن نستقل به؟ وهو سؤال غريب اذ ما سمعت أن العلم مقيد بقيود الجنسية، وما من مطلع الاويقرو مؤلف « تاريخ آداب اللغة العربية » على قوله في مميزات النهضة الادبية الاخيرة منذ سنة ١٧٩٨ م الى الآن : « من العوامل الرئيسية في احياء آداب اللغة العربية في هذه النهضة اشتراك الافرنج في درسها ونشر كتبها والتنقيب عن تلك الكتب في مظانها . وليس اهتمام الافرنج بالآداب العربية حديثا فانه يرجع الى الاجيال الوسطى قبل نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث » فقوم هذا شأنهم وتلك آثارهم يجب أن ننزلهم منزلة الاكرام ، ان لم يكن لحرمه العلم والادب عامة فلحرمه لغتنا التي هي ديوان أخلاقنا وحضارتنا وآدبنا . فمن الاعتساف ونكران الجميل أن ينمى علينا هذا التصرف وأن نعاب به . ومن الفكاهة المرة أن يشترط علي طالب علم افادته عن سيرة رئيس « اللجنة التحضيرية » وسيرة كل عضو من أعضائها قبل أن يتبرع بمالهم واحد لهذا العمل « وان راق لديه كثيرا » ! أهذا الحد بلغ بنا التحفظ والتعيب وسوء ظن بعضنا ببعض الآخر؟ يكفي في الرد على مثل هذا السؤال أن يقال: ليس بين أعضاء اللجنة التحضيرية إلا من يغار على نهضة اللغة ، وكلنا طلبة علم نريد ترقية معلوماتنا وتمرين أنفسنا

على الترجمة ثم التأليف ، وتعميد أقلامنا على لغة مهذبة تقيية مع تمييز الكلمات الاصطلاحية العلمية والفنية متعددين لغة الكتابة السليمة التي هي في كل أمة غير لغة العامة . وبعبارة أوضح إننا من أوساط المتعلمين لا مميزة لنا غير اجتهدنا واقدامنا على أداء واجب تناساه من هم أقدر منا ، فلسنا بالفلاسفة ولا بالفحول ، كما لا أعرف أننا وضعنا في درجة العوام والغوغاء . ولسنا ممن يصطادون الاموال لنفع جيوبهم ، ولا ممن صدرت عليهم أحكام المحاكم الجنائية ولا غيرها ، فعلام يتخوف من بروقه العمل من التبرع ، وكل قرش وكل جنيه يرسل باسم اللجنة يودع فوراً في « المصرف الاهلي المصري » بلندن ؟

وأما الاستاذ مرجليوث فلعل شهادة سواي فيه أولى بالاعتبار . قال مؤسس « الهلال » وقد أوجز كثيراً كعادته : « ليس بين قراء العربية من لا يعرف الاستاذ مرجليوث لما نذكره من آثار قلّمة في خدمة اللغة العربية بالتأليف أو النشر . وقد تلقى علومه في جامعة اوكسفورد وتولى تعليم اللغة العربية فيها من سنة ١٨٨٩ م ، وهو يمتاز على الخصوص بسعة معرفته في اللغة العربية وآدابها . يكتاب أصدقاءه من العرب بأسلوب عربي خالص من شوائب المعجمة . وله فضل نشر كتب عربية هامة آخرها كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي . وقد نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها الانكليزية وهو عمل لا يستطيعه الا القابض على ناصية اللغة العربية لان هذه الرسائل لا يفهمها العربي الا بمراجعة المعاجم ، ونشر آثارا عربية تاريخية وشعرية ، وقطعة بابيروس عربي كانت في مكتبة اوكسفورد . وألف في مشاهد اورشليم ودمشق كتابا حافلا بالرسوم والشروح ، وله كتاب في سيرة النبي بالانكليزية . وترجم الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي الى الانكليزي وله مقالات عديدة في المجلة الاسيوية الانكليزية وغيرها » . اهـ

وكتب الي أحد الفضلاء يسألني عن مزية العمل من الوجهة السياسية « حيث أن مركزنا السياسي الحاضر هو في نظره أهم المسائل » مع أننا أبنا مرارا أنه ليس لهذا المشروع أي صبغة سياسية ، وما تطرقت السياسة الى عمل كهذا الا أفسدته . وإن يبدل حالتنا السياسية جمعية ولا جمعيتان ، فإن الليل لا يبرأ بالاعلان زورا عن عافيته ، بل

بإستئصال دأته وعقلته . ولكن اذا كنا ومعظم الافريقيين والشرقيين والعرب عامة معاديين في نظر الاوربيين بمرتبة البهام ، ألا يعد من الحكمة اذن تخفيف هذه الوطأة باظهار فضائلنا في أدوار نهضتنا العلمية والادبية وتصحيح الغلط الفاحش الشائع عنا ، فكل هذا يمكن تحقيقه بهذا العمل الجامع أيضا لمزاياه الادبية البهتة .

لو كانت لنا في هذه الديار منزلة من الاحترام لما راجت على حسابنا رواية « قسمة » التي هي كانت ظالما وفضيحة اجتماعية وتاريخية كبرى لنا . ولئن انتقد بشدة تمثيلها مثل القائد الانجليزي السير سمث دروين رحمة بالآداب العامة ، فلعله ولعل كثيرين سواه من عالية القوم يعتقدون صحة ما تمثله تلك القصة الخيالية من الكبائر آسفين على حالنا الشائنة فيما للمصائب !! واذا كانت كل من روسيا واليابان رغما عن تحالفهما مع انجلترا يقدران أن أصدق التحالف ما كان بين الشعوب بعضها مع البعض لاما بين الحكومات فقط ، فأصبحت جريدة « التيمس » تصدر من حين الى آخر بفضل المساعدة المالية التي تهبا كل من تينك الحكومتين ملحقات ضافية شارحة الحياة الروسية واليابانية بكل أسلوب ووسيلة جذابة للرأي العام الانجليزي ، أينى علينا نحن المرموقين بالازدراء والسخرية الذين لا تربطنا محالفة ولا جامعة حرة راقية بأوروبا - أينى علينا أقدامنا على عمل كهذا يشمل ما بين أغراضه ازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق أو بالاحرى بين الفرنجة والعرب ؟

يقول كولردج : « اللغة عدّة العقل الانساني الجامعة لغنائم فتوحاته السابقة وأسلحة انتصاراته المستقبلية » ويقول وليم سمث : « اللغة هي ذكرى النوع الانساني هي عصب حياة ممتد بين جميع العصور يربطها بالوجود المشترك الطويل المتري » : ويقول هير : « اللغة مقياس الفكر والخلق القومي » ويقول السير ه دافى : « ليست اللغة ناقلّة الفكر فقط بل هي أيضا عدّة عظيمة صالحة في التفكير » . وفي كل هذه الحكم الغالية المصائب أحسن جواب لمن تبلغ بهم المغالاة في الانتقاد الى « الجزع » من غير الشبان على لغتهم ، قائلين ان اللغة وسيلة لا غاية « وحرام » أن نمنى بها هذه العناية . . . ! لأنكر أنى اعتبر اللغة وسيلة لا غاية وان صلحت أيضا لأن تكون غاية مطلقة كفن جميل ، وما لنا من يدعو الى الكلام المتوعر المعقد الذي

يكاف الذهن المشقة في فهمه ويختتم العقل به ، ولكن من الواجب علينا أن نصون لغتنا عن الابتذال الذي تدلى اليه معظم المعربين ، ومن المفروض علينا أن نتمشى مع الزمن في ترقية الوسيلة التي تتلقي بها العلم والآن أصبح العلم دائماً غريباً عنا ، ومن الحكمة أن نظهر لغتنا في مظهر عزيز لا تائق بها « لانها مقياس الفكر والخلق القومي » على حد قول هير . وفي اغراء الشبان العرب في أوروبا بالعناية بعمل أدبي علمي اجتماعي كهذا ما يصرفهم عن مضيعات الوقت والصحة والمال ، وما يساعدهم في دراستهم وفي تهيئة أنفسهم لخدمة أممهم في الحاضر والمستقبل .

لا يكابر أحد في أن الامة اذا ترقى نهضت معها لغتها ونالت احترام الاجنبي لها ، ولكن اللغة كذلك من أقوى دعائم الرقي ، ونهوضها من نتائجها كما أنه من وسائل النهوض العام للامة ، فنهوض الامة ونهوض اللغة على ذلك حالان لا تفترقان ، وأمران متساندان ونهضتان مرتبطتان .

أحمد زكي أبو شادي

نادي مستشفى سانت جورج

(طبيب)

بلندن

[المنار] ان هذا المشروع جليل ونفعه للعرب ظاهر لا يماري فيه الا أصحاب الوسائس السياسية ولا يصعب اقناع المستقل منهم بالرأي والفهم بفائدته وانما يستحيل اقناع أصحاب الاهواء بما يخالف أهواءهم

باب الاخبار والآراء

السيد محمد وجيه الكيلاني (راجع ص ١٢٤ من الجزء الثاني)

جاء في جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويورك ما نصه :

شيخ الاسلام بالفيلبين ووفاته

عند منتصف ايل خامس مايو قضى الى رحمة مولاه في ريتشمند من أعمال ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة السيد محمد وجيه الجيلاني شيخ الاسلام بمجزر الفيليبين وقد كان قدم هذه البلاد منذ سنة ونيف وقام أكثر هذه المدة في فيلادلفيا وتردد احيانا على واشنطن وعلى نيويورك إلا ان صحته لم تكن حسنة فأقعدته عن

التجول كثيرا وهذا ما أخر في إتمام مساعيه
 كان السيد الجيلاني عالما فقيها وعلى كثير من التسهل الديني ولد في دمشق
 وانتقل الى الاستانة حيث اسندت اليه مراتب دينية عالية . ولما ان بعثت حكومة
 الولايات المتحدة بعد احتلالها الفيلبيين وفدا الى الاستانة للاتفاق مع سلطان تركيا
 على تعيين شيخ اسلام يتولى رعاية المسلمين عين السيد الجيلاني لهذه الوظيفة فذهب
 الى الفيلبيين عن طريق سوريا وبلاد العرب وبلاد المعجم والهند وكان هناك يقابل
 امراء وعلماء المسلمين ويستنصهم في مشروع تهذيبي افكر به لترقية شوون
 مسلمي الفيلبيين الادبية . والتقى في مكة بجماعة من هؤلاء المسلمين قادمين للحج
 فعادوا وياهم وكانوا يؤدون له اكراما أشبه بالعبادة فيسجدون امامه شأن البرابرة
 فنهام عن ذلك ، وحين وصل الى بلادهم اخذ ينتقل من جزيرة الى أخرى في
 الارخبيل ويدعو قوم المورو المسلمين الى عقد الاجتماعات فيخطب فيهم حاثا على
 الاقتلاع عما يفهمون من الجهاد الديني وهوان يخلق الواحد منهم شعر رأسه ويحمل سلاحه
 ويخرج بقصد الايقاع بالبيض الكفرة ولا يعود حتى يقتل عددا مفروضا أو يقتل هو
 وكان السيد الجيلاني مدة اقامته في تلك الجزر على تفاهم تام مع رجال الحكومة
 الاميركية الذين كانوا يرجعون اليه في كل مشاكلهم مع الوطنيين المسلمين . وساء
 السيد الجيلاني ما وجد ابناء دينه عليه من الهمجية فأخذ يفكر في طريقة لتهديبهم
 الا انه لم يوافق رجال الحكومة الامريكية هناك على انشاء مدارس عمومية للحكومة
 فقال ان المسلمين لا يطمئنون الا اذا كان لهم مكتب . لاصق للجامع يدرسون فيه
 كتابهم الشريف بادي ذي بدء . ولاجل تحقيق هذه الفكرة قدم الى الولايات
 المتحدة وأخذ ينشر المقالات عن أحول الفيلبيين في بعض الصحف الامريكية
 وفي الوقت نفسه سعى الى تأليف جمعية تهذيبية تتولى أمر انشاء المدارس الاسلامية
 في الفيلبيين يكون مركزها الرئيسي في الولايات المتحدة وذات فرع اداري في
 الفيلبيين يتولى هو رئاسته نظرا الى انقياد المسلمين هناك اليه وتحقيقهم حسن مقاصده
 فلا تداخلهم رية من مساعي الاميركيين أو عمد هؤلاء الى القيام بالمشروع مستقلين
 وقد كان السيد الجيلاني يتردد الى ادارة المهدي حين يزور نيويورك فعرفنا عنه

ما سبق بيانه من مقاصده ومساخيه ولكن وطأة المرض اشتدت عليه في الاشهر الاخيرة فلم يجتمع به أو نعرف شيئاً عن مشروعه. وكان من أمره أخيراً انه اضطر لاسباب صحية الى مغادرة هذه البلاد وبينما هو في الطريق اشتدت عليه علة في ريشمند فرجينيا . وهناك توفي . تفجده الله بواسع رحمته اه

﴿ إشراف أهل سورية على الفناء والزوال ﴾

لقيت في مكة المكرمة الضابط الحرّ الصدوق خالد أفندي الحكيم الحمصي وكان وصل اليها قبلي بأيام قلائل فاراً بدمه من بلاده بطريق البادية، فسألته عما وصل اليها من مصادر متعددة من أخبار المجاعة والفناء ومصادرة السلطة العسكرية للاموال والغلال في طول البلاد السورية الفلسطينية وعرضها، وتفكيكها بالاهالي تقتيلاً وتضليلاً ونفياً من الديار — هل هو حق كما سمعنا أم هو مبالغ فيه ؟ وذكرت له ملخص ما وصل اليها من ذلك . فقال ان ما بلغكم دون الواقع وليس الخبر كالمعاينة ، وانني أقدر انه لم يبق في البلاد من أهلها الا العشر . اه فاذا طال الامد على هذه الحال ، فسورية صائرة الى الفناء والزوال ، ولا يبعد ان ينقرض أهلها الذين فيها من الارض ، قبل انقضاء هذه الحرب . فلا شك في ان مصابها بحكومتها الطاغية الباغية أعظم من مصاب بلاد البلجيك والصرب والجبل الاسود باجتياح الجرمان لها، وثلم اعروش ملوكها . فيجب على السوريين المقيمين في مصر وأوربة وأمريكا أن يسارعوا الى البحث عن أقرب الوسائل الى إنقاذ البقية الباقية من أهل وطنهم لعلهم يهتدون اليها ويدخلونها من بابها بعد ان علموا ان دولة الانسانية (الولايات المتحدة) لم تقدر — وكذا غيرها من الدول التي على الحياد — على ما أحبت من إغاثة هذا الشعب المسكين بالقوت والعلاج ، ولا دول الحلفاء المحاربون لدولة الاتحاديين قدروا على إنقاذه بالحرب والكفاح ، فان كان في هؤلاء السوريين من ينتظر هذا الانتقاد بعد النصر النهائي المأمول ، فليعلموا أن أمد الحرب سوف يطول ، وأن لسان حال وطنهم ينشد صاحب هذا الامل ويقول :

فلك البقا فلرب يوم ان تسـل حتى تراجعني فلا تلقاني
مـتى تنتهي الحرب وكيف تنتهي

قد أكثر الناس من حديث الصلح في هذه الايام وتقلت الجرائد لنا عن كثير

من قواد دول الاحلاف وساستهم أنهم يرون ان الحرب قنتهي باتهاء ربيع العام القابل (١٩١٧) أوصيفه بناء على ان مدّ القوة الالمانية قد تحول الى جزر، وجزر دول الاحلاف قد تحول الى مد تتدفق ثوابه ، ولا تنتهي عجائبه ، كنت التقيت في شهرشوال الماضي بوكيل شركة روتر البرقية في القاهرة فسألني — وقد ذكرت هذه المسألة — عن رأيي فيها فقلت له اذا أصرت انكلترة على ما عزمت عليه من قهر الالمانية وإرغامها على قبول ما تشترطه مع أحلافها للصالح، وحافظ هؤلاء الاحلاف على عهدهم بأن لا ينفرد أحد منهم بقبول الصالح، فالرأي الراجح ان هذه الحرب تستمر عدة سنين، تنهد فيها قوى جميع المتقاتلين، وتخسر أوربة الملايين الكثيرة من أفلاذ كبدها، وألوف الملايين من دنائرها، وعشرات المدن ومئات البلاد من ممالكها. فان أصغر الأمم الاوربية وأضعفها تختار الفناء، على قبول الذل والقهر والاستخذاء ، وأرى ان الاحلاف لا يمكنهم ان يتزعوا من ألمانيتها ما بيدها من مملكة بلجيكة وولايات فرنسة الا ان تكون خراباً يباباً لا حجر فيها ولا مدر ، ولا شجر ولا بشر، وبعد ان ينفق على تخريبها الملايين من الرجال، والقناطير المقنطرة من الاموال، واذا كنا نرى المحاربين يخربون بلادهم بأيديهم اذا اضطروا الى تركها لاعدائهم ولو موقتا كما فعلت روسية وغيرها، فهل ينكر على الالمان العتاة ألا يتركوا بلاد أعدائهم الاقاعا صفصفا؟ أما تقصير أجل الحرب فليس له طريق معقول عندي — اذا أصرت الحكومات على عزمها — الا قيام الشعوب الاوربية من الفريقين على دولها . وإلزامها إياهن بصالح يعود فيه كل شيء الى أصله ولا يتضمن إذلال دولة لاخرى، لان كل دولة وكل أمة أوربية تفضل الفناء على الذل وخدش الاستقلال التام لا الالمان وحدهم ، هذا معنى ما قلته يومئذ ولكن قيام الشعوب على حكوماتها لا يرجي مادام كل منهم يرجو النصر التام . فصدق على الفريقين قوله تعالى (واذ يُرِكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا)

﴿ تاخر صدور هذا الجزء من المنار ﴾

يصدر هذا الجزء بعد يوم تاريخه بشهر وأيام بسبب غيبتنا في سفر الحج مثل هذه المدة ثم اشتغالنا بقاء المهنيين أسبوعين أو أكثر وعطل حصل بالة الطبع